ناماسکار

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب : ناماسكار
تأليف : إيمان عبد البديع
تصنيف الكتاب : رواية
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٠٨١ / ٢٠١٩
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 55 - 7

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

ناماسكار

رواية

إيمان عبد البديع

الإهداء

لم أكن أعلم أن للأفلام هذا الأثر، حتى شاهدتُ أحد أفلامه فأصابني بانهيار تام، وقلب حياتي رأسًا على عقب، وأحيا نبضات قلبي المتوقفة، وصدمني بقوة فبعثر كل الأوراق من يدي مما حملني على ترتيبها من جديد، لكن بالشكل الصحيح تمامًا، فخرجت هذه الرِّواية.....

إلى عامر خان.....

***

الفصل الأول

Gmail

سأستقيل حتمًا سأستقيل، وأذهب للعمل لدى البريد المصري السريع، فما عدت أطيق حجم الرسائل التي أرسلها في الثانيه الواحده. هذا هو عيب كل ما هو مجاني،فشعار الناس أكثر من أب المجاني أو كما يقولها المصريون. فلماذا ترسل رسالة واحدة وتنتظر الرد، بينما يمكنك إرسال رسالة كل خمس دقائق لتسأل هل الرسالة التي أرسلتها منذ خمس دقائق وصلت أم لا. أو أن تكررها عشر مرات لتحاصر عين المرسل إليه فلا يرى إلا رسالتك في بريده، وتمارس نوعًا من الضغوط عليه واستثارة فضوله الفطري لفتح الرسالة.

أين أيام الزمن الجميل، أيام الحمام الزاجل.

(ها! ليس هذا ما قصدته يا جوجل. ليس من بداية عهد المراسلات، بل بعد ذلك بقليل).

نعم أيام البريد، كان الناس يبذلون من الجهد ما يصرفهم عن التفكير في إرسال رسالة أخرى قبل شهر على الأقل.فهم يعرفون جيدًا أن رسالتهم تصل على ظهر سلحفاة عرجاء، فلا داعي للعجلة ويكفي إرسال الرسالة ونسيان أمرها حتى يفاجأ الراسل برسالة من المُرسل إليه فتصبح السعادة سعادتين، سعادة بتلقي الرد وسعادة بتذكر إرسال الرسالة من الأصل. لكن هذا هو طبع الإنسان، النسيان.

وكل هذا يمكن تحمله، لكن ما لن أستطيع تحمله مجددًا هي تلك الرسائل المزعجة المتلاحقة بين هذين الحسابين،

rohanayan@gmail.com

fayrozahmed@gmail.com

فأنا أذكرأول رسالة بينهما،أذكرها جيدًا فكل شيء مخزن في ذاكرتي ولا داعي من بذل الجهد.

كانت من fayrozahmed وبدا جو الرسالة رسميًا لطيفا لبقاً، فأرسلت تقول:

يشرفني التواصل معك سيدي، فأنا كاتبة مصرية مبتدئة ولديَّ رواية عن اضطهاد المسلمين في الغرب وأرغب في مساعدتك إذا تكرمت لتحويلها لفيلم عالمي يخاطب العالم بلغتهم.

تحياتي

فيروز

أدخلت كلماتها في google translate

لتحويلها إلى اللغة التي أجمع العالم على التواصل بها هذه الأيام، وأرسلتها.

وانتظرت أمام شاشة الحاسوب تفتح عبثًا العديد من الصفحات والنوافذ والرسائل حتى جاءها الرد.

لكن لم يكن رد rohanayan متماشيًا مع لباقتها.وبرغم عدم فهمها لما كتب، شعرت بطاقة مريبة تنبعث من بين حروف رسالته، فاستنجدت بجوجل ليكذب مشاعرها، لكنه أكّد ظنونها مترجماً:

هل يعرف المسلمون حقاً كيفية كتابة الروايات وتعتقد أنه يمكن تحويلها إلى فيلم عالمي أيضًا.خاص بإسلام إرهابي!!

هذه ترجمة جوجل اعذروني لا أملك غيرها.

من الواضح أن fayrozahmed أخطأت عنوان البريد. هذا ما أوصيت به كثيرًا، تأكدوا من ال write spelling واختاروا أسماء لحساباتكم من خياراتي المميزة.بُدًا هذا واضحًا من ربكتها بعد هذا الإيميل، حيث سارعت إلى عزيزي جوجل وكتبتrohanayan

فأظهر لها wikipedia هذه المعلومات:

الاسم: روهان آيان.

الميلاد:١٥ مارس ٧٥ م.

الجنسية: هندي.

الديانة:هندوسي.

المهنة:مخرج وممثل هندي.

لم يظهر جوجل شيء عن مشاعرها بعد قراءة هذه المعلومات، لكنه أظهر تصحيحها حرف ال h ل k وانتظرت أن يصحح جوجل معلوماته أيضًا وقد كان.

الاسم:رُكان آيان.

الميلاد:٣٠ نوفمبر ٦٥ م

الجنسية: سوري.

الديانة:مسلم.

داعية من أصل عربي هاجر إلى أمريكا واختارها مقراً لدعوته.

هنا وصل الارتباك ذروته، حيث بدأت بفتح new tab وبدأت chat on facebook مع صديقتها sarah

وفتحت نافذة أخرى تكتب فيها البريد الالكتروني الصحيح للداعية الإسلامي rokanaya مع بقاء نافذة رسالتها ل rohanayan مفتوحة.

وظلت تناوب الفتح بين النوافذ وتبعث ل sarah بين اللحظة والأخرى الكثير من الرسائل المهدرة من وجه غاضب وباكي وكلمات متناثرة متقطعة كلها تحاول استدعاء sarah. ثم بدأت بكتابة رد ل آيان المخرج، كما بدأت في إرسال أولى رسائلها إلى آيان الداعية.

أشعلت رسالتها للمخرج بكلماتها الغاضبة:

أنا أصلاً ميشرفنيش الكلام معاك أيوه إحنا بنعرف نكتب ونبدع ونتكلم بس معندناش الفرصة إن أمثالك يشوفوا إبداعنا.

حاولجوجل جاهدًا أن يحول كلماتها من العامية المصرية إلى الإنجليزية اللاتينية، مروراً باللغة العربية الفصحى. ياله من عمل مجهد، لأول مرة سأتعاطف مع ترجمة جوجل سيئة السمعة.

فلم يكن خطأ جوجل هذه المرة، فهي من اختارت أن تدخل كلماتها بالعامية إلى ترجمة جوجل السحرية.

ثم بدأت بإطفاء شعلة غضبها في رسالتها للداعية، بعد أن قامت بإلصاق نسخة من رسالتها الأولى لروهان والتي كانت ملكاً لركان من البداية.

ثم جاءت أول رسالةأمل من sarah

ـخير يا بنتي في إيه

انتقلت fayrozahmed فورًا ل chat with sarah بعد أن أتمت إرسال كلتا الرسالتين السابقتين.

=الحقيني يا سارة فاكرة الشيخ اللي قلتلك متابعاه وهبعتله عشان يساعدني ألاقي حد يحول قصتي فيلم؟

ـأيوه خير.

=بعتله انهرده ووصل الرد أسرع مما توقعت وأعجب مما تخيلت.

ـليه قال إيه!

=لا بسيطه هو اتريق عليه بس. وقالي إنت عايزه تعملي فيلم عن الإسلام الإرهابي وجوّد كمان وقالي هو انتو بتعرفو تكتبوا أصلا.

ـمعقول إزاي اتخدعتي فيه كده؟

=الحقيقه أنا اتحولت بس في حرف كتبته غلط، فبعت الإيميل لواحد تاني خالص اسمهروهان آيان.

ـههههههه

(الحقتها بالعديد من الوجوه الضاحكة الباكية المجانية)

مش ممكن على الصدفه، ده ممثل هندي قمر إنت عارفاني بموت في الهندي وهندوسي كمان مش مسلم.

=اه ما جوجل قالي كده برده.

ـبس خلي بالك ده ممثل تحفه وكمان مخرج.

=لا طبعًا لايمكن أتعامل معاه.

ـيعني إنت شايفاه قاعد يتحايل عليكي، بس تخيلي كده لو حصل هتدخلي بوليوود من أوسع أبوابها ويبقى مبعدناش أوي عن هوليوود.

أنا حاسة أن لخبطة الأسامي دي مش صدفة أكيد وراها حكمة.

=صعب أوي الكلام ده، صحيح أنا نفسي جدًا في مخرج أجنبي عشان رسالتي توصل بره مش نعد نكلم نفسنا وخلاص، ونفسي روايتي توصل العالمية بس لا.

أظهرت شاشة المحادثة أن sarah typing الآن، فانتظرت Fayrouzahmed وانتظرتُ معها كالعاده، حتى تستطيع sarah إكمال رسالتها. حيث تكتب بعض الحروف، ثم تدافع عن الكيبورد من هجمات أطفالها المتكررة، ثم تحاول تكوين بعض الجمل قبل أن تلبي أحد طلباتهم المزعجة، وهكذا حتى تنجح في مهمتها البطولية.

ـيا ستي يا سيادة الكاتبة العالمية هتعملي إيه دلوقتي؟ هترضي بالحلم الهندي ولا هتسعى ورا الحلم الأمريكي. يا خوفي لا الحلم العربي يتوه في النص هههه.

=لا ما أنا رديت خلاص.

ـحاولتي تقنيعه فعلاً!

=احم لا عكيت، تقريبًا هزأته.مش عارفه رديت كده إزاي بس إنت السبب لو رديتي علطول كنتي لحقتيني.

ـ طب حاولي تصلحي الموقف، علشان حتى ماتنقليش صورة وحشة عنا.

=أوكي هجرب كده وأنا معاكي.

عودة من جديد لنافذة رسائل الوارد من (rohanayan)

Reply

انتظر كتابة الكلمات. لكن لا شيء. هل انقطع الإنترنت عنها! أم أنه تصرف البشر بالمكوث طويلاً أمام الرسالة، والتفكير العميقماذا اكتب؟ ربما تحاول انتقاء الكلمات الآن، لكن ماذا ستقول؟

خطّت بأزرار لوحة المفاتيحلغة عربية صحيحة هذه المره في مربع ترجمة جوجل، في محاولة يائسة لمنحه فرصة أن يعبر عنها بطريقة صحيحة، لكن يبدوا أنها تضع ثقتها في الشخص غير المناسب دائمًا. هذا واضح بالطبع من اعتمادها على جوجل في الترجمة....

على كل حال اختارت فعلا كلمات مناسبة فقالت:

مستر روهان، أعتذر عن كلامي في الرسالة السابقة. أرجو أن تعذرني فقد كانت رسالتي الأولى موجهة لشخص آخر، داعية مسلم. لذلك صدمني الرد الذي انتظرته منه والذي كتبته أنت بدلاً عنه. على أي حال لا مشكلة فالإسلام يحترم جميع المعتقدات والآراء.

حسناً سأُرسلها لكِ سريعاً لأرى بماذا سيُجيب؟

كم أنتِ محظوظة لقد رأى الرسالة وها هو يكتب الرد الآن.

لن تنتظري كثيراً لتعرفي، ولن أنتظر.

كيف تصادف أن الاثنين متصلان بالإنترنت في نفس الوقت، ثم يقرءان الرسائل ثم يكتبان الرد مباشرةً ولا يؤجل أحدهما ذلك إلى وقت آخر. أسرع محادثة حدثت في تاريخي، أشعر أني تحولت لرسائل الواتساب النصية. يا إلهي إنّ الداعية الأمريكي يكتب أيضاً. إن الكل أونلاين هنا فيما عدا sarah، هي التي تختفي كثيراً. فحاولت فيروز تغير حالة ظهورها إلى متصل الآن.

ساره سوسو انتي فين ! بعت له رسالة خلاص.

(بالإضافة للكثير من علامات الاستفهام المبهمة)

فجاء تنبيه رسالة واردة، لم تكن من sarah كما توقعت،بل من rohanayan

والذي أعاد إشعال الفتيل سريعًا بكلماته

هذه هي طريقتكم دائمًا كمسلمين في النقاش، تبادرون بالغضب والعنف، ثم تقولوها ببساطة: إن الإسلام يحترم الآخرين .ياله من أمر مضحك عزيزتي

.....

ـهو ليه مُصر يستفزني بكلامه ماينفعش أسكت ماينفعش.

بعد العشرة الطويلة مع المصريين أعتقد أن fayrozahmed تحدث نفسها هكذا الآن.

وما يؤكد توقعاتي هوعودتها للكتابه بلهجتها العامية من جديد، غير آبه بمعاناة رفيق العمر جوجل:

بص أنا حاولت أحترمك لكن إنت مُصر تنرفزني. والمفروض إن المخرج المحترم يعمل أفلام مؤثرة ليها رسالة مش يخرج بس أفلام رومانسيه خيالية أوفر زي الأفلام الهندي.

جاء الرد من rohanayan، وأكاد أشعر أنه كتبه بشرار عينيه المتقدتان غضباً بدلاً من يديه، فوصلت كرصاصات بدلاً من حروف وكلمات. وتحوَّل سريعًا عبر شبكة الإنترنت المتشابكة الخيوط من الإنجليزية حتى وصل إلى شاشة فيروز باللغة العربية:

- آتشا! ماذا تعرف عن الأفلام الهندية؟!

مثلت الأفلام الهندية الكثير من القضايا الهامة ومنها قضايا الإسلام، وأنا على استعداد لإثبات ذلك، أرسل لي روايتك وإذا كانت رواية احترافية ترقى إلى المستوى العالمي سأخرجها لك.

لم تهتم لكل ما قاله ولم ترَ إلا تلك الكلمة التي أجبرتها على تحويل الترجمة بدلاً من engish للعربية، إلى hindi للعربية لتعرف ما تعنيه كلمة atcha....وطمئنها جوجل أنها ليست سبه، بل مجرد أداة تعجب وسخرية مثلها مثلما يقول المصريون (لا والله).

حسنًا، وماذا عن قوله أنه على استعداد أن يُخرج الفيلم؟! لابد أنك في أسعد لحظات حياتك الآن.

لكن يبدو أنها كان لها رأي آخر، فقد كانت في غاية التوتر حتى أنها لم تلحظ إشعار تنبيه وجود رد من sarah، فتابعت تُرسل :New reply

لا شكرًا سوف أجد مخرج جيد يؤمن بقضيتي.

وما لبثت أن ضغطت زر send حتى وصل لها الرد من الداعية الأمريكي.

ألم أقل لكم لم أعمل بهذه السرعة وبهذا التوتر من قبل.

قال:

اجتهاد جيد. لكن أنا لا أؤمن بدور السينما المزيف

.....

يا لها من كلمات مختصرة وصادمة.

أسرعت تستنجد بصديقتها مرة أخرى، لتجد رسالتها الغير مقروءة والغير مفهومة أيضًا. حيث كانت حروف عربية مبهمة لا تشير لأي شيء له معنى. لكن أنا أعرفها جيدًا فهي من نوع الرسائل التي تُلحق برسالة أخرى تقول (آسفه اتبعتت بالغلط الولاد كانوا بيلعبو معلش)،أما fayrozahmed فلم تعر الرساله انتباها، فكفاها محاولات فك رموز وتلاصم اللغات اليوم، وكتبت:

=سارة ارحميني انتي بتظهري وتختفي امتى؟!

فظهرت سريعًا هذه المرة:

ـأيوة معاكي، ها طمنيني صلحتي الموقف؟

=عكيت عكيت وكله باظ.

قالي ممكن يعمل الفيلم لو هو فعلاً مكتوب كويس.

اتّنكت عليه وقلتله في غيرك كتير. ولاقيتلك رُكان رد عليّا وصدمني، قال إنه مش مؤمن بالسينما ودورها أصلاً.

ده كان آخر واحد في الليسته اللي حسيت إنهم ممكن يقبلوا الفكرة.

أنا مش قادرة أصدق، يا ألاقي مخرج كويس يقدر يوصل الفكرة باحترافية بس مش مؤمن بالقضية أصلاً.

يا إمَّا ألاقي واحد متدين ومهتم بالقضية لكن بيحرم الفكرة، أفلام إيه وروايات إيه. يا إمَّا ماعندوش إبداع ويقلبه فيلم وثائقي.أو يشوف إنه من الأفضل الإنفاق على بناء جامع يكون منبر للإسلام ندعو الناس من خلاله.

على أساس بنلاقي الناس كل يوم بتحجز مكان في المسجد قبل ما تروح من الزحمة.

كتبت رسالتها الطويلة في خفه وسرعة،رغم ما تحمله من هموم. فحاولت sarah أن تسلط الضوء على النصف الممتلئ من رسالة المخرج:

ـ كفاية معلش انتي قدامك فرصة على فكرة استغليها.

= فين الفرصة دي؟!

ـانتي عارفة.

فأجابت بوجه مفكر، وجه حائر، وجه مذهول، وجه رافض، وجه متردد، وجه يتقيأ ....

يا إلهي هل هذه طريقتكم في التفكير يا بشر!

ثم تابعت، وأنا إيه يضمن لي إنه ما يرفضهاش بحجة إنها مفهاش إبداع، ويكون السبب الحقيقي هو موضوعها وكده بيّن نفسه متحضر ومعندوش مشكلة مع الإسلام.

=متسبقيش الأحداث.

استني لما يقراها وشوفي رأيه إيه، مش يمكن.

_محتارة يا سارة محتارة، بس مش عاوزة أفكر كتير لو فكرت هتراجع حاولي تشجعيني.

= طيب هاشجعك أهو

فيروز فيروز

_ بجد بقى بلاش هزار

=طيب هاقولك أهو .....

ولم تكد تكتب sarah رسالتها التشجيعية، حتى وجدتُ fayrozahmed تفتح نافذة رسائل لـ (rohanayan) وتكتب له بينما تتابع كلمات سارة من على شاشة الموبايل، حيث أتاني تنبيه تسجيل دخول من جهاز آخر الآن

وبدأت بالكتابة له.

على أي حال أنا أستطيع إرسال روايتي للعديد من المخرجين المحترفين ممن يؤمنون بقضيتي.لكن وجدت أن الأمر سيكون أكثر تحديًا إذا أنتجه أحد مخرجي البلاد التي تضطهد المسلمين.

حاولت الاعتماد على نفسها في كتابة الايميل دون اللجوء لجوجل أخيرًا، خشية أن يخذلها كما فعل الداعية.

وفي هذه الأثناء كانت sarah تحاول أن تقوم بدورها التشجيعي:

ـافتكري يا فيروز إن الإسلام محتاجك وهتقدمي فيلم يبرأه من الإرهاب.

بينما كانت صاحبة الرسائل المثيرة للجدل تكتب:

-إنت وأمثالك تحاولون دائمًا تشويه صورة الإسلام. أنتم الوجه الحقيقي للإرهاب.

و sarah تكمل مهمتها :

وحاولي تبقى لطيفة، وقولي له تعالى نحاول نقرب وجهات النظر، حاول تعرف أكتر عن الإسلام من مجتمع مسلم.

و fayrozahmed تكمل ثورتها:

أنت لا تعرف شيئاً عنّا.أنا على يقين إنك تظن أننا مازلنا نقطن الصحراء على ظهر الجمال، حاملين السيوف ليل نهار.

و sarah تكمل:

ـقوليله إن السياسات والدول العظمى هي اللي بتشوه صورة الإسلام لأغراض تانية.

وصديقتها تغضب:

-ولا أجد لكم عذرًا لعدم معرفتكم بحقيقة الإسلام فنحن في عصر الاتصالات والشبكة العنكبوتية حاكت خيوطها حولنا جميعًا.

وأخيرًا لاحظت وجود اختيار send فضغطته بكل إصرار.

وهنا توقفت كل قدراتي على الفهم والمتابعة.

ف fayrozahmed تقرأ رسائل sarah ويُهيأ لي أنها تفهم المعنى الآخر،

فتكتب ل rohanayan نقيض نصائحها.

ثم ترسل رسائل نصية سريعة لـsarah تشير لها أن تواصل التشجيع.

لم أعد أفهم حقًا هل هي تقرأ رسائل صديقتها،

هل تدرك ما تكتب،

ما الذي تشعر به ويحرك الكيبورد الخاص بها لتكتب هذه الكلمات.

وأكد لي ظنوني رد فيروز:

ـساره إنتي إيه الليانتي كتباه ده!

ما قولتليش الكلام ده ليه قبل ما ابعت!

=انتي بتهزري! بعتي إيه

وبعدين بقالي ساعة مستحملة زن الواد وباكتب لك وانتي متابعة.

ـأه فعلاً كنت بحاول أقولكإني معاكي لكن مش عارفة مالي ماكنتش مركزة ولا شايفة إنتي بتكتبي إيه.

رسايل المخرج ده أثرت فيّا أوي

مضايقة أوي يا سارة حاسة إني طلعت فيه كل اللى جوايا،

ضايقني جدًا إنه قالي العرب ما بيعرفوش يكتبوا،

ماعرفش ليه جرحتني أوي الكلمة دي.

ليه دايمًا يقللوا مننا ويتفهوا من قدراتنا.إحنا عندنا طاقات رهيبة بس مدفونة بالحياة تحت فقرنا وتخلفنا وعصبيتنا.

قاطعتها sarah وخيرًا مافعلت، فلن تتحمل سرعة الإنترنت ثقل كلماتها.

=بس بس كفاية ده تشات يا بنتي أمال لو كنا قاعدين مع بعض كنتي قلتي إيه.

ثم ظهر أمل جديد:

ـاستني استني ده رد

= خير قال إيه

أنا أيضًا انتظر الردوحاولت sarah توصيتها ب:

ـ خليكي معايا بقى قولي قال إيه قبل ما تردي عليه.

فيروز فيروز؟!

يبدو أنها تقرأ الرسالة في صمت لأنها لم تجب sarah ولم تخبرها ماذا كتب.

قرأت فقط وأسرعت بالرد كالعادة، لكنها لن تندم على شيء كندمها على التسرع هذه المرة.

.....

هل رد المخرج الهندي يعذرها في تسرعها، فما قال سوى :

تتحدثين عن الإنترنت. فما أروع لقطات إرهابكم للأبرياء المنتشرة عليه. وكيف أعرف عن الإسلام من المسلمين فهم بلا أخلاق

ولا قدرة على النقاش بهدوء ويدّعون الضعف والاضطهاد في بلاد الغرب،وهم كالأفاعى في عقر دارهم يلتوون ويتلونون على كل لون.

انتهت كلماته. ولم ينتهي الفقر والجهل الذي أخبرته هي أنه ما يمنعنا من الوصول إلى العالمية.وعندما تأتي مسلمة قليلة الحيلة مثلي للدفاع عن دينها يحرمها أمثالك من حقها في الأمنية الأخيرة لها.

وربما لمس ضعفها المختبئ خلف كلماتها العدوانيةقلب rohanayan

وربما هو كبرياء الرجال، أو عناد الكبار الذي حمله على قول جملته ملبياً لها أمنيتها الأخيرة.

ستبحث عنك العالمية داخل شوارع القاهرة وأزقتها أيتها الكاتبة المبتدئة الصغيرة. ستفرش لك السجادة الحمراء من باب دارك وحتى بوليوود، فهل سيكون طريق ممهد بالورود أم مزروع بالأشواك وزيف الوعود؟

قبِل المخرجالتحدي، قبِل أن يهب قصتها قبلة الحياة. لكن، فقط إن استطاعت أن تثبت له سلام المسلمين، وأنهم سيتقبلوا وجود هندوسي بينهم في بلادهم ويحترموا معتقداته.

إذا استطاعت أن تثبت براءتهم من الإرهاب ورفض الآخر.

فأجابت في اندفاع غير محسوب:

حسنًا تعال وسوف ترى.

فكانت إجابته بسيطة، بكلمات محدودة الحروف والمعنى، لن تحتاج إلى ترجمتها، لكنها حتمًا في حاجة إلى استيعاب مدلولها وتحمل كامل عواقبها:

.Ok,I will come

.....

***

الفصل الثاني

عقل فيروز

استعدي أيتها الخلايا النائمة، فستكون فيروز الآن في غاية التوتر وأمامنا مهمة طويلة. فهل هي عادتها أم ستبتاعها؟ هي دائمة التفكير والتدقيق والحسابات والحسبنة على خلق الله.

ليست من النوع اللي (بيخليه في حاله) ولا تتدخل في شئون الآخرين أيضًا. هي تقف دائمًا في منطقة رمادية، ترصد سلوكيات الناس وتحللها وتنتقدها بينها وبيني فقط. تسألني العديد من الأسئلة الوجودية وتنتظر مني إجابات نموذجية. تعشق انتاجي من الأفكار لكنها تبالغ. فهي تريدني أن أمنحها فكرة لكل فكرة تفكر بها. وأمنحها فكرة تخلصها من كل الأفكار التي آتي بها. وتطالبني بأفكار تصلح كل المشاكل التي تمر بها، ويمر بها العالم على حد سواء. تريد

فكرة تجعلها أكثر جرأة لتحقق ما تحلم به، وتريد فكرة لتخفيف معاناة الأمهات في العناية بأطفالهنّ، وفكرة ليكف الناس عن إلقاء القمامة في الشوارع، وفكرة ليكف الناس عن افتعال الشجار لأتفه الأسباب، ووصل بها الحال أن وقفت في شجار بين عملاق مارد مفتول العضلات، وصبي هزيل الجسد وأشارت بإصبعها المرتجف إلى ظهر المارد صارخة (إنت اللي ضربته أنا شفتك) ليكف عن الشجار فجأة، ويلتفت إليها.

فأدركت حجمه الحقيقي بالنسبة لها، وتساءلت كيف لم تدرك أنه بهذه الضخامة!، فوقفت ترتعد من الداخل وكعادة فيروز من الداخل شيء ومن الخارج شيء آخر، كصلابة أصداف الجاندوفلي من الخارج ورخاوتها من الداخل.فاستجمعت بعض الأحرف من صديقي الغامض العقل الباطن حيث تلاشت قدرتها على الكلام، وقالت في براءة:

حرام عليك، ليه بنستقوى على بعض!! أهكذا ستحلين مشاكل العالم يا فيروز؟! ومن فضل الله أن العملاق أشفق عليها، فتجاهلها وعاد يكمل ما بدأه. وليست فيروز بالشجاعة كما يبدو، فلم ولن يتكرر مثل هذا الموقف مجددًا. فهي تتمنى أن تمتلك قدرًا من الشجاعة لتكون أكثر إيجابية وتحركًا في المجتمع، لكنها دائمًا تصطدم بجدار خجلها المعترض طريقها طوال الوقت.

فتعود سريعًا لأوراقها تحتضنها وتترك نفسها بين سطورها، فهي الوحيدة القادرة على التعبير عمّاتشعر وتفكر وتحلم به.

كما أذكر وهي صغيرة كانت تريد فكرة عبقرية تنهي احتلال إسرائيل لفلسطين وحين يئست منّي، تطوّعت بأحد أفكارها الفذّه، أنّ الحلأن نرسل امرأة جميلة إلى الجنود الإسرائيلين الجالسين على حدود فلسطين، وتحاول إغرائهم وتخبرهم وسط حديثها أن لا فائدة من المكوث هنا، يمكنهم الذهاب لبلد آخر والاستمتاع بالنساء هناك. لكنها كالعديد من الأفكار التي ترد لذهنها لا تجرؤ على إخبار أحد بها وتكتفي بالاحتفاظ بها معي.

ها هي بدأت التفكير الآن.

فيروز: هو قال come صح!أه قال ما هي مكتوبة مفيش مجال أقول سمعتها غلط.

جاي فين بقى ويعمل إيه!

أيوة هاوريله إيه يعني!

أنا إيه اللي خلاني أتسحب من لساني.

هيشوف إيه؟! هيشوف الشباب اللي على القهاوي، ولا الخناقات بالمطاوي، ولا هيشوف التحرش اللي مالي الشوارع والحواري.

طيب هاوريه أصحاب النظافة من الإيمان، والزبالة في كل مكان!

طب أوديه المساجد، بسهو إحنا هنلاقي حد أصلاً؟!

ولو لاقينا هاوريه إيه؟

أوريله مشاكل ماحدش يجيب أطفال معاه، والكراسي خلوها في أول صف ياولداه، وأقفْ في الصف ياحج مش لازم تحت المروحة مرة واحده لوجه الله، والشيخ اللي بيدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لدرجة إن صوته وأنا قاعدة في أوضتي سمعاه!!!

طب أوديه المدارس يشوف الولاد اللي بتتعلم نوع تاني من التعليم!

بيتعلموا إزاي يعاكسوا بنات، ويغشوا في الامتحانات، ويحفظوا في الأفيهات.

طيب أقوله إن عندنا كباريهات وخمره عادي إحنا متحضرين، ولا أقوله إن الحاجات دي حرام والمفروض إحنا متدينيين.

وبعدين استني استني.

هو مين اللي هايوديه ويوريه أصلاً أنا بهزر، صح؟!

أنا لو أهلي عرفوا إني ببعت له إيميلات بس، هيخربوا الدنيا.

أمال لو عرفوا إني هابقى مرشد سياحي ديني فجأة لواحد هندوسي هيعملوا إيه!!!!!

أنا مش مصدقه اللي وصلت له.

هو أكيد ما يقصدش يعني هو هيسيب أشغاله وبلده ويجي كده فجأة علشان إيه.

هو أكيد أكيد ما يقصدش،

وإن قصد هاينسى وينشغل،

وأنا من ناحيتي مش هابعت له تاني علشان ينسى.

(امنحيني الفرصة لأُعلق على ما تفكري فيه، أرهقتيني من العمل.

لكن سيمنحك هذا الصوت الفرصة لترتاحي قليلاً،

لتتوقفي عن التفكير،

لتأخذ خلاياي قسطًا من الراحة.

إنه صوت تنبيه وصول إيميل جديد. لكن أعتقد أنا من سيفكر الآن، ممن الرسالة يا ترى؟

هل يُعقل أن روهان أرسل رسالة جديدة؟

هو كذلك حقاً.

فالدماء بدأت بالغليان في عروق فيروز.

نعم إنه هو،

وها هو يدمر كل الظنون في عقل فيروز ويؤكد كل ما كانت تخشاه.

وقال بكلمات محدودة، إنه أتم الحجز وأرسل تاريخ وصوله بعد يومين من الآن. وسيمنحها فرصة أسبوع كامل لتثبت له ما تريد.....

سأحتاج الآن للمزيد من الأكسجين، وإعلان حالة الطوارئ، ماذا ستفعل بنا فيروز).

فيروز: هههههه توصل بالسلامة والله، هو ليه ماسألنيش مش عاوزة حاجة أجيبهالك معايا وأنا جاي.

أعمل إيه أعمل إيه؟؟

أقوله أنا حرمتخلاص كنت بهزر يا بني وباختبر قدراتك، وطلعت أد كلامك أنا اللي عيلة وبرجع في كلامي.

(فيروز فلتهدأي قليلاً كفاكِ ثرثرة الأطفال وشكوى وندب الحال.

حاولي أن تستخدمي خلاياي في شيء مفيد.

تعاملي مع الأمر الواقع، ماذا ستفعلين؟)

فيروز: طب إهدي شوية يا فيروز خدي نفس،فكرى. ده مخرج هندي جاي زيارة لمصر.

وأنا فيروز، بنت قليلة الحيلة رغم لسانها الطويل اللي موديها في داهية، وعقلها اللي تاعبها.

(لا أحد يعلم من الذي يُرهق الآخر)

وخريجة إعلام، ممكن أعمل إيه؟

أستغل موضوع إعلام ده إزاي؟

محتاجة مابقاش لوحدي، وفى نفس الوقت محتاجة ناس تمثل الإسلام الحقيقي أفرجه عليهم ويقبلوه وسطيهم.

يبقى ممكن ألجأ للكلية نجهز فوج يكون وجه مشرفه نستقبله بيه. وأكيد هيهتموا لما يعرفوا إنه مخرج معروف.

أيوة ده حل كويس جدًا وهايرفع الحرج عني وتبقى الكلية هي اللي في الصورة وأنا مجرد واحدة من الفوج ده.

الحمد لله وصلت لفكرة كويسة.

(الحمد لله سنرتاح قليلاً من الثرثرة التي لا جدوى منها. الآن فكري في كيفية تطبيق هذا الحل،عليكي العمل سريعًا)

ـ دلوقتي لازم أفكر أطبق الحل ده إزاي؟

لازم أتصرف بسرعة.

أسرعت فيروز لارتداء ملابسها، والتقطت هاتفها المحمول ومحفظتها ومفاتيحها سريعًا، واتجهت إلى باب المنزل وهي تحاول إدخال كل ماحملته في حقيبتها، وهنا استوقفتها والدتها:

ـ رايحة فين يا بنتي؟

=على الجامعة يا ماما.

ـإنتي مش اتخرجتي؟!

=عندي امتحان مهم لازم أنجح فيه.

ـواتخرجتى إزاي من غير ما تعملي الامتحان!

=عادي إحنا في مصر يا ماما، يالا سلام ادعيلي.

وتركت والدتها التي لم تكن أكثر حيرة مني. ماذا ستفعل فيروز، هل ستجيد التصرف هذه المرة؟

هل ستنجز شيئًا في حياتها حقًا؟! أم ستخذلني في نصف الطريق، كما تحيا نصف حياة دائمًا.

.....

***

الفصل الثالث

كريم

هل ما أراه حقيقة! نعم هي فيروز. وكيف لا تكون وقد شعرت بطاقتها في المكان، ووصل لأنفي رائحةعطرها الساحر، واخترق صوتها العذب وهي تتحدث في الهاتف، أوتار أذني فعزف أحلى الألحان، تغرد قائلةً:

ـآلو أيوة يا ساره.أنا دخلت انتي فين.متتأخريش لما توصلي كلميني، هعد أنظم أفكاري عمال ما تيجي.

هل يعقل حضورها للجامعه من جديد، زميلة الدراسة وحبيبة العمر. هل لي من أمل في أنتهب قلبي دقات تحييني بها من جديد؟ بعد توقفه تمامًا عن النبض بعد تخرجها من الكليه، وتركي وحيدًا

هنا كسجين، يكمل فترة عقوبته، بينما خرجت هي مبكراً لحسن السير والسلوك. آآه أفق يا كريم فكيف لفيروز ببراءتها أن تسجن على ذمة أي قضية.

كما أنها خرجت من هنا لأنها اجتازت الاختبارات بنجاح فما ذنبها هي في فشلي أنا.هل يا ترى كان هناك تزوير في النتيجة وستعيد مثلي؟!

ولتفق من جديد يا كريم. فماذا تنتظر بعد محاولاتك اليائسة، طوال الأربع أعوام لاستمالة قلبها. ففي عالم الحب يُحكم على المتهم بالحب من طرفٍ أحاديّ، بإشعال نيران الشوق في قلبه حيّا، ونفي روحه خارج جسده، وقتل الأمل أمام عينيه رمياً بالرصاص. فلا يضره إن أُحيلت أوراقه إلى المفتي بعد ذلك فلن يكون أكثر من إعدام ميّت.....

ظللت أستفيق من أوهامي واحداً تلو الآخر،وأردم على بذور الأمل التي تحاول عبثاً أنتحي قلبي بعد موته. لكنّي غبي، فالردم على البذور يساعدها على النمو.حتى تمكن الأمل النابت من قلبي، وأنا أنظر في عيني فيروز، وهي مقبلة عليّ بِطلّتها الساحره، تنهي مكالمتها، وتغلق الهاتف، محاولة وضعه في حقيبتها، مكملة السير ونظراتها مشتتة بين الهاتف والحقيبة والنظر حولها.

فأسرعت خطواتي لتتماشى مع دقات قلبي المتلهف للقاء بعد الغياب.وقلت في لهفة حين أصبحتُ أمامها مباشرة:

_هاتعيدي السّنة!

فانتفض عصفوري الصغير فزعًا، فملامحها صغيرة، تمامًا كالعصفور.تمتلك عيون بُنية واسعة، تحميها رموش طويلة. وأنف صغير، وشفاه بلون حمرة خدودها، حمرة طبيعية ربما هي حمرة خجل وحياء أو ربما هي علامة من علامات الجمال، وربما أُخذت معايير الجمال العالمية من ملامح فيروز. جمال طبيعي لم تلوثه مساحيق التجميل أبدًا.أعشق خصلات شعرها شديدة السواد التي تسيء التصرف بالظهور رغم حرص فيروز على إخفائها. تبدواحبيبتي أصغر من عمرها، ويساعدها في ذلك طلتها البسيطة العصرية، وبراءة ملامحها.....لكن ما يفسد براءته دائمًا، هو لسان العصفور، أقصد لسان فيروز، الذي يصر على أن يجلدني بسوط كلماته. فبمجرد أن تفتح فيروز فمها تتحول إلى ببغاء سليط اللسان. ولكن من يستطيع أن ينزعج من ببغان غلباوي بلسان ونصف....

=بسم الله الرحمن الرحيم هعيد السنة! ليه! زيادة تأكيد يعني؟

_ها! لا معلش بهزر معاكي.

ثم تغيّرت نبرة صوتي رغمًا عني، حين التفّت بعض أشواقي حول أحبالي الصوتيه مغلفة لها بطبقة حب وحنان:

إزيك يا فيروز. فينك وفين أيامك.

رفعت حاجبها مستنكره جملتي:

=أيامي إزاي يعني هو إحنا كنا بنقعد مع بعض في أيامي دي.

كالعادة تعالجني من حبها بالصدمات الكهربائية من حين لآخر فأجبت في توتر:

ـلا مش قصدي يعني كنتي منورة الكلية وكدة.

= طيب شكرًا. ركز بقى إنت في أيامك علشان تخلص.

ـأنا مبسوط هنا على فكرة.

=طبعًا مفيش مسئولية وبابا بيدفع المصاريف وعيشة زي الفل أتخرج ليه بقى واتعب واشتغل وأزود عاهات جديدة للمجتمع.

هذه هي كلمات فيروز تخرج كبارود فتّاك حاولت تفاديه:

ـ لا أنا مش كده خالص على فكرة، أنا بس بحب الكلية وطموح جدًا عاوز أبقى معيد وهافضل فيها لحد ما أحقق حلمي.

=أيوة أفضل عيد لحد ما تبقى معيد.

آه يا فيروز. ليتني لم أتحدث إليكي ليتني اكتفيت بالنظر إليك من بعيد.

ـإنتي قفلتيني خالص على فكرة.

=طب معلش يلا بقى مش هعطلكعن أحلامك.

كالعاده هي تسخر مني وترفض حبي وتتظاهر أنها لا تعرف شيئًا عن ثورة قلبي، وكالعاده أنا هممت بالرحيل غير أنها وعلى غير العاده أشارت بيدها أمام وجهي تستوقفني.

ـ كريم كريم استنى إنت كنت دايمًا بتطلب مني نقعد نتكلم وأنا كنت بارفض، أنا ممكن أوافق المرة دي علشان عاوزاك في شغل، كده في سبب ممكن نقعد علشانه.

فلاحت لي أولى علامات نجاح الثورة، ثورة قلبي.

وابتسمت فرحًا وهرولت إلى أول مقعد وقلت في بلاهة:

= بجد اتفضلي.

جلستْ على بعد متر ونصف وقالت في حماسة:

ـ كريم كلمني عن نفسك شوية.

فأكملتُ بلاهتي:

=لا إيه ده انتي اتغيرتي خالص بعد التخرج يا فيروز.

ـ بقولك عاوزاك في شغل إنت بتسقط كلام ليه.

كلمني يعنى عن اهتماماتك أخلاقك طموحاتك. وهل إنت إنسان متوازن تقدر تمثل الإسلام صح؟

= !!!!!!!!

ـ يعني مثلاً بتلعب رياضة وفى نفس الوقت بتسمع الآذان تقوم تصلي؟

= أنا كده فعلا باسمع الأذان بقوم ألعب رياضة على طول.

ـ نعم!

طيب بلاش دي اتكلم إنت بس وأنا هاشوف تنفع ولا لأ.

لم أتعلم الدرس فتعديت الحدود مجددًا. لكن لم أكن أعلم أنها حدود دولية محرّمة.

=أنفع ده أنفع أوي جربيني انتي بس.

فاستحققت النفي:

ـاحترم نفسك يا كريم، أنا كان لازم أفهم لوحدي إسلام إيه اللي تمثله.

= طيب استني قوليلي بس على الدور وأنا هحاول. أنا بحب التمثيل أوي.

ـ كريم لو سمحت قوم من هنا.

قمت ملبيًا الأمر. تركت الطاولة، وتركت معها آخر أملان يكون بيننا شيء مشترك من أي نوع .

لكن لم أستطع المغادره ففضلت الوقوف بالقرب منها دون أن تلحظ وجودي. سأراقب حركاتها وأنفاسها محاولًا أن أمتزج بها.

سمعتها تهمس:

آدي أول واحد طلع out

أكتب مين؟

أ. محمود عميد الكلية

أشوف كمان رئيس اتحاد الطلبة،

ونهال دلوقتي معيدة هتنفعنا برده.

وفي هذه الأثناء وصلت سارةرفيقة خطوات فيروز وسكناتها، طوال سنوات الكلية.لم تتأثر صداقتهما بعوامل الزمن، الذي ترك الأثر الآن واضحًا على ملامح سارة وجسدها. فتاة هادئة الجمال

صارخة الأنوثة.التحقت بالجامعه وهي أشبه بنموذج عارضة أزياء، ثم بدأ جسدها بالاستجابه لعوامل الزمن والزواج المبكر، والحَمل، والحِمل الثقيل بعد الولادة، فأفسد كثير من معالم جماله. وقطعت ترهلات بطنها، التي حرمتها من ارتداء أزياء كثيرة مواكبه للموضة، الأمل في عودته إلى ما كان عليه. كما قطعت هي حبل أفكار فيروز الآن، وبعثرت كل الأفكار حينما قالت في عصبية شديدة:

أنا مش هاينفع أكون معاكي في العك ده، أنا عندي بيت وعيال.

أنا علشان أجي النهارده سبت الولاد عند ماما وأنا مش لاقيه حجة أقولهلها،

أقولها رايحة أتفق مع صاحبتي إزاي هتقابل مخرج هندي جاي مصر!

فأجابتها فيروز لتؤكد على وجهة نظري:

ـ إيه يا بنتي الأسلوب ده، فين سو الرقيقة بتاعت زمان؟ معقول الجواز يعمل فيكي كده؟

فين الإنجلش والفرنش اللي في كلامك ولغتك الراقية الشيك.

= العيال يا حبيبتي العيال دي القوة الوحيدة في العالم اللي تقدر تنسف شخصية أي أم، وتطلع أمنا الغولة اللي مدفونة جواها،

يخلوكي تكتشفي قدرات في نبرة صوتك واستخدام ألفاظ الشوارع اللي ماكنتيش تعرفي إنها موجودة جواكي أصلاً.

ـطيب إحنا نحييهم على فقرة اكتشاف المواهب دي، ممكن ندخل بقى في المفيد علشان ماضيعش وقتك وترجعي لفريق اكتشاف المواهب بتاعك.

=اتفضليبس اطلبي لي واحد بيبي فري نسكافيه بليز.

ـقصدك sugar free

=لا بيبي فري، من غير وجود عيال يعني. ده بيبقى من أجود أنواع البن وله مذاق خاص جدًا.

ـ حاضر من عينيا ربنا يشفيكي، ومعاه كيك كمان بس ركزي معايا بقى.

دلوقتي دي ليسته بالشخصيات اللي ممكن تساعدنا في الكلية قبل ما تطلي عليّا بطلتك البهية كتبتها،وشطبت على أول اسم فيهم.

=مين؟ كريم؟ وده إيه اللي فكرك بيه؟ ده إزاي جه على بالك أصلاً!

وكالعاده ردت فيروز:

ـ هو ماجاش على بالي ده جه قدامي، فرض نفسه في الأحداث بس خلاص خد اللي فيه النصيب.

نيجي بقى للناس المهمة، أنا حطيت عميد الكلية كجهة رسمية.

ضربت سارة بيدها الطاولة، مجدده توتر أعصابها:

=الانفتاحي المتحضر اللي بيشوف الإسلام تخلف!

ـ بصي هو لازم يتحط.إحنا ممكن ندخله من ناحية تانية، مانقولش المخرج جاي ليه مثلاً.

نقول بس إننا محتاجين فوج يستقبله، ومحتاجين إحنا اللي نختار الفوج.

= طيب افرضي طلع فاكس.

ـ هنا بقى هاتيجي أهمية الشخصية التانية، رئيس اتحاد الطلبة، لو ربنا كرمنا وطلع كويس يبقى أكيدعميد الكلية هايطلب منه هو يرشح الشخصيات، وهنا نتفق معاه على اللي إحنا عاوزينه.

=ولو طلع بقى من نفس العينة؟

ـ هنا بقى يجي دور الشخصية الثالثة.

= مين؟

ـامممممم هي ...

=مين ما تقولي

ـامم نهال.

كادت تقلب الطاولة على فيروز لولا عمل حساب العشرة:

=نهال؟! إنتي بتهزري البنت المغرورة الحقودة اللي بتكرهك وتتمنى اليوم اللي تذلك فيه!

ـأيوة بس ماتنسيش إنها معيدة في الكلية وهتعمل حساب للعشرة برده.

= عشرة إيه إنتي بتحلمي، دي فرصة جت لحد عندها علشان تطلعه عليكي.

ـطيب ماهي لما تلاقيني محتاجاها هتنبسط كده وتخلي وترضي غرورها وتعملي اللي أنا عاوزاه.

=خلينا نمشي الخطوات واحدة واحدة ونشوف لما نتزنق فيها هنعمل إيه.

يالا بيننا على plan a.

ـإيه ده الإنجليزي رجع تاني أهو.

شوفتي اندمجتي معايا إزاي ونسيتي فريق مكتشفي مواهب الكبار.

=أهي دي الحسنة الوحيدة اللي بتعمليها فيّا، بتخرجيني من اللي أنا فيه، بترجعيني لأحلى أيام.

يالا أنا اتحمست بقى هاوريكي أحلى شغل.

ـطيب يالا نطلع على أ. محمود، حضري بقى الكلام اللي هنقوله.

= طب أ. محمود أنا هاكلمه علشان إنتي عارفة هو قافش منك من ساعة وقفتك مع المنتقبات في الكلية.

ـاممممم يعني هتروحي لوحدك؟

= لا ما هو كده كده هايعرف إنك في الموضوع نروح مع بعض، بس هالطف أنا الجو الأول بس إديني فرصة كده أحاول أرجع طبقة صوتي بتاعت زمان علشان مايتخضش ويقفش.

ـههههه ياريت ونبقى عملنا حاجة كويسة في أبو العيال.

=طيب يا فالحة لما نشوف لما تتجوزي هاتبقى عاملة إزاي.

ـ لالا معلش مش كل من أكل بطيخ بلع بذره.

= إيه المثل ده! وحشتني أمثالك المتفبركة.

وحتى لا تصابوا مثلي بتعب الأعصاب من حوارات البنات اللا متناهيه، ننتقل سريعًا إلى مكتب عميد الكلية.

تسلّلت معهم. ومن حسن حظي تركا الباب خلفهما مواربًا.

بدأت سارة بالترحيب وتقديم نفسها بابتسامه مشرقة:

_أ. محمود إزي حضرتك. أنا سارة دفعه ٢٠١٦ فاكرني؟ ده أنا على طول في سيرة حضرتك.

=اااه أهلاً يا سارة عاملة إيه؟

وأدار بوجهه، بارز الملامح صاحب الضحكات الساخرة التي تضيع هيبته، ناحية فيروز. وواضح من نظرته أنه يتذكرها جيدًا، ويتذكر مواقفها.

رفعت فيروز نظرها من الأرض تنظر إليه على استحياء، وعلى استحياء قالت:

- إزيك يا أ.محمود وأنا ....

قاطعها:

= فيروز، فاكرك طبعًا.ها عاملة مشاكل في أنهي مؤسسة دلوقتي؟

فقالت ساخره:

_لا أنا فضلت السلام، فقاعدة في البيت باكتب قصص مع نفسي.

لكن لن نتغلب على قدرة محمود على السخرية:

= وبتنشريها ولا بتنشري غسيل العيال هههههه.

وضحك ضحكته السخيفة العميقة الساخرة، فاهتزت ترهلات جسده ودهون بطنه، كما اهتز كرسيه مصدرًا صوتًا منذرًا بقرب فنائه.

فردت وهي تجز على أسنانها:

_لا الحقيقة ماتجوزتش برده.

=ليه كده هي العرسان مابتشوفش !

فردت فيروز في إفيه جديد:

_لا أصل مفيش مشابك.

أسرعت سارة بنكز فيروز حتى تنتبه لطريقة كلامها، وقالت:

_ لا فيروز دلوقتي وصلت لمرحلة تانية خالص، بقت متفتحة وبتدور على مخرجين أجانب يحولوا قصصها أفلام.

=بقى كده، باصة للعالمية يعنى! هو واضح إن المصريين مش عاجبينها من زمان.

وهتتعاملي بقى مع مسلمين بس ولا إيه؟

فأجابت فيروز بحدة:

أ. محمود أنا عمري ما كنت عنصرية ولا بكلم مسلمين بس.والحمد لله واخده منهج الوسطية. ليه حضرتك شايفني كده؟ هو بس الوضع اللي كان أوفر في الكلية شوية.

فضرب على المكتب ضربة تعلن غضب سيادة العميد:

= وضع إيه اللي أوفر!

أسرعت سارة بتصحيح الموقف:

أ. محمود هي ماتقصدش خالص. هي بتحاول تقولك إنها اتغيرت والدنيا علمتها. ده حتى انت مش هتصدق إحنا جايين ليه النهاردة.

=خير؟

ـفيروز تواصلت مع مخرج هندي مشهور علشان يجي يقضي يومين في مصر، ويشوف مستوى الإعلام عندنا وصل لإيه.

ضحك من جديد ضحكه ساخره مقهقهاً، هههه هندي! ده إحنا لما بنعوز نتريق على فيلم عربي بنقول عليه هندي، هو ده اللي قدرتي عليه !

فأسرعت سارة تدافع عن جودة الأفلام الهندي كما كانت تفعل طوال سنوات الكليه. لا يا أ. محمود حضرتك أكيد مش متابع، الأفلام الهندي اتغيرت خالص واتخلوا عن كتير من الأفورة وبقى في تكنولوجيا عالية في الأفلام وقصص كمان روعة وأفكار تقيله.

علّق ساخرًا:

ويا ترى بقى هتمثلي معاه يا فيروز وتعملي رقصة هندي محترمة؟

وهنا لم تتمالك فيروز أعصابها:

أ. محمود هو مش جاي يصور فيلم، ولا أنا ممثلة. كل الموضوع إنه عنده فضول يشوف المسلمين... قصدي المصريين

أسرعت سارة :

اااه المصريين،عايشين إزاي؟ يشوف عاداتهم تقاليدهم دينهم أخلاقهم، ممكن ده بقى يبقى ملهم له في أعمال جايه وممكن ياخد قصة لفيروز يحولها فيلم.

تساءل أ.محمود مشككًا في قدرة فيروز على تأليف روايات حقيقية:

امم بس يا ترى قصتك عن إيه؟

فيروز: قصتي عن ...

قاطعتها ساره:

قصتها قصة مختلفة جدًا وغير متوقعة. حضرتك مش هتصدق إن فيروز اللي كتباها. بس إحنا هنسيبها مفاجأة دلوقتي لما يوافق روهان آيان على القصة.

نظر لها في إعجاب لأول مرة: بتقولي مين! يا بنت اللذينة ده إنتي جبتي من الكبار، أنا سمعت الاسم ده كتير.

قالت سارة غامزة للعميد:

مش بقول لحضرتك فيروز اتغيرت.

وهنا تبرق فيروز لسارة، وساره تحاول خفض هذا البريق بغمزة معناها، عدي الليلة.

ثم تساءل محمود عن سبب الزياره، وماذا يردن منه. فأجابته فيروز في حماسة:

ـإحنا بس بعد إذن حضرتك، كنا عاوزين فوج من الكلية يبقى representive للإسلام، قصدي للإعلام.إحنا الصراحة اخترنا الكلية لأننا بنعتبرها بيتنا التاني وبنعتز بيها، ومتأكدين إن فيها مواهب شابة كتير.

بدى على محمود الراحة وهو يقول:

طيب والله فيكي الخير إنك فكرتي فينا. هي فكرة حلوة ماقدرش أتكلم. بس مخرج كبير زي ده لازم كمان حد يقابله من الإعلاميين والممثلين والمنتجين.

.....

ـممثلين مخرجين إعلام! كده فضيحة بجلاجل.

قالتها فيروز بعد خروجهم من مكتب العميد وهي في ذهول.

.....

***

الفصل الرابع

كريم مازال هنا

خرجوا من غرفة العميد وفيروز كالعادة في غاية التوتر.

اتجها إلى الكافيتريا ليرتبوا أوراقهم من جديد، ويعيدوا تجهيز الخطة، فما الخطوة التالية يا ترى؟

قالت فيروز بتوتر أصاب نظراتها فأزاغها، وأعصاب يديها فتشابكت أصابعها، فالتقى كلاً منالخنصر والبنصر والسبابه والوسطى أخيه في اليد الأخرى، بينما دار الإبهامين حول بعضهما البعض، وأصاب قدمها فبدأت بالاهتزاز وهز الأرض من تحتها:

ـهنعمل إيه دلوقتي يا ساره؟ ده طلّعنا من الحسابات خالص، وقالك هو اللي هايجهز الفوج، وكمان هايخليها صحافة وإعلام، كده الموضوع كبر مني.

= قوليلي بس المشكلة فين؟ أنا شايفة إن محمود أول مرة يقول حاجة صح. شخصية مهمة زيه ماينفعش يجي في صمت كده وما ياخدش واجب الضيافة.

الاستقبال ده هايبقى واجهة كويسة لمصر.

(ثم أخذتها الحماسة)

مصر يا فيروز،

اعملي كده علشان مصر.

(ومن يستطيع مقاومة سحر هذه الكلمه، مصر.....فلا أعلم هل هي أُمضيّعت أولادها، أم بنتٌ عاقّه تحرق قلب أُمّها؟.... المهم أنه في كلتا الحالتين، حبّها فطري سيبقى مهما فعلت.)

سقطت الكلمة في قلب فيروز، كما تسقط صخرة في نهر جارف، استقرت في مكان عميق من القلب،وفاض ببعض مافيه.

ـ أنا أصلاً دخلت لمكتب محمود ده بس علشان مصر، ومش عارفة أقدر أضحي بأكتر من كده ولا إيه. تعرفي يا سو أنا بحب مصر أوي. بحب أرضها وسماها وتاريخها وعراقتها..... دولة ساحره، ماحدش يقدر يقاوم سحرها، لكن..... أول ما أمشي في الشوارع وأشوف حال الناس بحس..... بحس إنه.....

(بدأت سارة بالتطبيل لها وتلحين الكلمة)

بحس .....بحس إنه...

ـبطلي هزار بقى، يالا ما علينا سرحت شوية معلش، وانتي عندك ملايكة في البيت مستنيينك، وأنا قدامي يومين قبل ما يجي خلينا نركز شوية.

(أخرجت فيروز سارة من الدور الذي تعيشه وأعادتها إلى دور الأمومة).

= بتفكريني ليه. وبعدين أنا مركزة رغم إن الأم بعد الخلفة بتفقد نص عقلها، وتلات أربع جمالها، وكل ذاكرتها، إنتي اللي بتسرحي.

ـطيب خلاص معلش. دلوقتي أنا معاكي في موضوع الاستقبال. بس هانعمل إيه بقى في الاستهبال، التطبيل والهوس اللي هيشوفه.

= حبيبتي هو جاي مصر مش هاتقدري تخبي الناس عنه، ده يوم هايعدي بسلبياته وإيجابياته، وبعدين عندك أسبوع تصححي له المفاهيم، وتنسيه اللي شافه براحتك، وتوريه المسلمين اللي بجد، واللي مش عارفه هاتجيبيهم منين بصراحة.

(تمدد حجم القمرين،أقصد اتسعت حدقة عيني حبيبتي وهي تقول):

ـيا نهار أبيض أسبوع! وأنا هاعمل إيه معاه في أسبوع!

= فيروز حبيبتي،إنتي ليه بتحسسيني إني بقولك معلومات جديدة. اهدي كده وكله هيبقى تمام.

زارها التوتر من جديد بكامل أعراضه:

ـأنا مش عارفه هاتصرف إزاي معاه لوحدي، محتاجة حد معايا.

= طب ما تاخدي حسن أخوكي ويبقى ضربنا عصفورين بحجر.يبقى حد معاكي وتبقى مطمنة من ناحية أهلك.

ـ حسن؟ أه كده كملت،ده أول واحد هايثبت له إن إحنا الإرهاب بيجري في دمنا.

(تجاوزت سارة أمر حسن سريعًا فالحديث عنه في حد ذاته يُرهب ويُرعب).

=طب إحنا هنسيب محمود ينظم فوج الاستقبال ده بطريقته، وننتقل ل plan b. نشوف رئيس اتحاد الطلبة ونحاول نجمع اتنين ثلاثة يبقوا جروب رسمي معاكي طول الأسبوع.

عقّبت فيروز بعين مستنجدة:

ـاده وانتي مش هتبقي معايا؟

=عيب عليكي! انتي عاوزة مثلا تكوني بتكلميه عن إن رسولنا- صلى الله عليه وسلم - عمره ما ضرب حد، ويلاقيني داخلة عليه في لحظة غياب تام عن الإدراك، وأجيب الواد من شعره في الأرض!

ـلا صح معاكي حق،إنتِ مرفوع عنك الحساب أصلاً. يالا بينا على رئيس الاتحاد.

فقالت سارة بروح المغامره:

=طب تعالي نجمع عنه معلومات الأول، علشان نعرف توجهاته إيه وندخل له من أنهي دخلة.

ـ ياعيني على الدماغ، يالا بينا.

أسرعوا على أول مجموعة بنات أمامهم وبعد التحية والسلام، طرحوا السؤال. فأجابت إحداهنَّ:أه ده إنسان كويس أوي بيعمل events كتير في الكليه، وبيجمع تبرعات كمان لأعمال خيرية.

بخطوات مسرعة متفائلة مبتهجة ساروا نحوه بعد تلك الإجابة المطمئنة، وبعد أن عرفوا أين يجدوه .....

شاب فارع الطول، يبدوا أنهمازال في أولى أيامه في ممارسة الرياضة، فلم يحظ بآثاره على جسده النحيل.

باغتته فيروز بالسؤال، وهو يتكأ على جدار مُلقٍ بحمول ظهره عليه.

ـإسلام مش كده؟

فالتفت إليها بابتسامة وإيماءة رأس خفيفة مؤكداً على تساؤلها. لتُكمل:

ـإحنا فيروز وسارة الدفعة اللي قبلكم في الكلية.

= إيه ده بجد مش باين عليكم.

قالها إسلام وهو ينظر إلى فيروز، فتسرّعت سارة بالإجابة:

ـميرسي ربنا يخليك.

ليحرجها إسلام:

ـلا إنتي بصراحة باين.

لم تستطع فيروز تكذيبه، لكنها حاولت التشويش على كلامه:

ـ احم ما علينا المهم.

=قولوا لنا بقى أخبار الدنيا بره إيه؟

سألَ إسلام، فيروز أجابت:

ـ الدنيا بره إيه يا بني، إنتم محبوسين في الكلية ولا إيه؟

=لا قصدي الشغل بقى والحياة العملية.

- لا ماعتقدش هانفيدك بصراحة، سارة اتجوزت وبتقضي فترة نقاهة كده عقبال ما الأولاد يكبروا، وبعدين ترجع بقوة إن شاء الله. وأنا باكتب قصص في بيتنا لحد ما ألاقي فرصة كويسة وارجع بقوة برده إن شاء الله.

بدأ يشعر بالملل:

= تمام، طيب رجعتوا الكلية ليه؟ جايين تستمدوا القوة من هنا؟

ـ لا إحنا في زيارة كده عندنا event كبير عاوزين نعمله، وسمعنا عنك، وإنك ما شاء الله نشط في الكلية وبتعمل نشاطات كتير.

استعاد بعض حماسته:

=أه فعلاً ده أنا بموت في الإيفنتات.لسه كنت عامل واحد، فاتكم بجد كنتم هتحسوا إحساس جميل بعده، كان عن برد الضوافر. اتجمعنا كلنا وعرفنا أصول برد الضوافر، وآخر السيشن بردنا ضوافرنا كلنا.

صمتت بُرهة ثم قالت:

ـ برد الضوافر! خسارة لا بجد خسارة إن إحنا ماحضرناش. طيب هو مثلا ممكن تقولنا عن events تانية عملتها تكون أكثر أهميه. ماقصدش أغلط في برد الضوافر طبعًا، الواحد يمشي كده بارد ضوافره يحس بثقة في النفس، لكن لو في حاجه تانيه أهم شوية ياريت تقولنا.

=أه طبعًا فيه.

قالها إسلام وكانت سارة قد استطاعت تجاوز إحراجه لها، فقالت:

ـشوفتي يا فيروز هو عارف إن برد الضوافر كانت فقرة ترفيهية مش هي الأساس، ها، قول بقى.

=يعني مثلاً أذكر من شهر عملت إيفينت مهم جدًا عن الأغنية الشعبية.

حاولت سارة استبيان الأمر:

ـعظيم. اتكلمتم بقى عن إنها بتبوظ الذوق العام، وفيها ألفاظ مش لائقة وكده.

أشار إسلام لها بإصبعه مؤكدًا:

= هو ده بالظبط، الألفاظ كانت موضوع ال event.قولنا نجمع أهم الألفاظ اللي بتتقال، ونعرف معناها، عن طريق استضافة بعض الإخوة المصريين من أطفال الشوارع، لتوضيح معانيها. وعملنا dictionary شعبي/مصري، مصري/شعبي،

هيكون referenceلأي حد سمع أغنية شعبي ومش فاهم معناها ومش عارف ينطق الكلمة صح.

ده هيساعدهإنه يفهم الأغنية أسرع، ويندمج معاها أكتر، ويحفظها أسهل.

(بالطبع تستطيعون تخيل تعبيرات وجه كل من سارة وفيروز الآن، فهناك تعبيرات من الصدمة ممزوجة بكثير من الدهشة وكمية ليست قليلة من الاشمئزاز والقرف، ربما لو طالت لحظات الصمت هذه أكثر من ذلك سيصاحبها بعض الأعراض كالقيء. لكن تجاوزت سارة الأمر سريعًا، وقالت:

في حد حضر يا بني؟

of course=

ده كل الطلبة كانوا موجودين ومتحمسين واكتشفوا معاني تانية خالص ماكنوش يعرفوها. وطبعنا القاموس ألف نسخة لحد دلوقتي.

قالت فيروز، محاوله السيطرة على غضبها والحفاظ على آخرجرعة صبر قبل أن تنفذ:

ـإسلام علشان مانخسرش بعض من الأول.....ده أخرك؟.

ليُصدم إسلام ويرفع نبرة صوته بحدة مع تبريقه صاعقة من عينه:

= أخرى في إيه بالظبط؟

-لا ما تفهمنيش غلط، يعنى ماعندكش أقوال أخرى، مش عاوز تحاول تحسن صورتك قدامنا؟ طيب أنا هساعدك.إحنا سمعنا إنك بتجمع تبرعات وبتعمل خير، كلمنا عن الجانب ده.

=أه إذا كان على الخير في كتير، انتو اللي ما سألتوش.

تنفست سارة الصعداء:

ـ طب أدينا سألنا، طلع إسلام الخير من جواك.

= إحنا بنجمع تبرعات علشان نعمل ملجأ لقطط الشوارع. هنلم القطط المشردة ونهتم بيهم. وبعدين اللي عاوز قطة منهم بيشتريها، والفلوس بالكامل بتتصرف على رعاية باقي القطط لحد ما حد يتبناهم.

نفذت آخر جرعة صبر لفيروز:

ـ على فكرة مشروع كويس في رحمة بجد، بس وجودهم في الشارع ده طبيعي وجزء من توازن الكون. اللي مش طبيعي هو تعاملنا العنيف معاهم.وبالنسبة لأطفال الشوارع اللي جبت سيرتهم من شوية، مفيش خطط تنتشلهم من اللي هما فيه، ولا هما دلوقتي ربنا فتح عليهم وبقوا خبراء شعبيين ماشاء الله يتم استضافتهم في الندوات الثقافية. وبعدين....

قاطعها إسلاما مدافعًا:

= إحنا مش هانقدر نعمل كل حاجة. كل واحد يعمل اللي يقدر عليه.

فاستحق فلسفة من أحد فلسفات حبيبتي:

ـ عندك حق. بس إنت بتحاول تعمل حاجة سهلة مانتعبش فيها، وفي نفس الوقت تريح ضميرك انك بتعمل حاجة، لكن إحنا

مشاكلنا اكبر من كده بكتير للأسف. وعندنا البني آدم مشرد ومُضطهد أكتر من الحيوان. وبقى عندنا نوعين من البشر، الأول المقهور، ده اللي بيمارس نفس القهر على الحيوانات، ويتعامل معاها بوحشية وعنف في الشارع. ونوع بيحاول يحمي الحيوانات من الإنسان المقهور ده. بس ماحدش فكر يصلح حال الإنسان ده يمكن يتصلح معاه حال الحيوانات، وحال البلد بالمرة.....

لم يحتمل صدق عبارتها أو لم يفهما، فاستشاط غضباً:

= إيه الكلام ده كله، انتي بتكلميني كده إزاي أصلاً.

أسرعت سارة في إبعاد البنزين عن الكبريت، فأمسكت بكتف فيروز مبتعدة بيها:

خلاص يا فيروز خلاص يالا بيننا.

ليكمل إسلام صراخه:

= إنتم جايين ليه أساسًا؟

أجابته سارة:

ـ لا أبدًا كنا عاوزين نسخة من ال dictionary بس خلاص فهمنا اللغة كلها لوحدينا.

.....

والآن خطوات بطيئة يثقلها الإحباط وقلة الحيلة. ثم قالت سارة في يأس:

ـ فيروز إحنا كده بنخسر كل اللي ممكن يساعدونا.

فيروز: خلاص يا بنتي مفيش فايدة من الكلام، إحنا دلوقتي ماقدمناش غير نهال.

توقفت سارة تمامًا والتفتت لفيروز:

ـتمام.لحد كده يا بنت الحلال أنا عملت اللي عليّا، اطلعي انتي بقى الطلعة دي. كان نفسي أفكر لك في فكرة تنفع معاها، لكن أنا مش متخيلة إن في أي طريقة تنفع معاها أصلاً، ربنا يوفقك أظن أنا كده عداني العيب.

وافقتها فيروز الرأي في استسلام وودعتها بدون كلام، واتجهت مباشرة إلى مكتب نهال.

لم تمهل لتعد ما ستقول، ولم تمنح نفسها بعض الوقت للتفكير. فقررت أن تدخل وتتحدث وفقط. لكنها لن تستطع منع ذاكرتها من استعراض بعض لقطات الماضي بينها وبين نهال، الفتاة العادية في كل شيء. ملامحها، شخصيتها، ملابسها،انطباعك الأول عنها. كل شيء، ماعدا تفوقها الدراسي، الذي كان يحظى بإعجاب الدكاتره فقط.فلم ينجح في جذب انتباه شباب الدفعه للإعجاب بها،

ولا فتياتها لتوطيد الصداقة معها. تذكرتها فيروز بنظاراتها الطبية التي تفضح حقدها على فيروز.تذكرتها وهي تتساءل، لِمَ تكرهها نهال لهذا الحد؟!

نعم أشعر بذلك يدور في رأسها، فأنا أدّعي أني أستطيع قراءة أفكار فيروز. أشعر دائمًا أني جزء منها، ممتزج بروحها وعقلها وأنفاسها.

كما أنه من المؤكد أنها ستستعيد ذكريات ذلك الماضي الأسود،فرغم أن نهال كانت الأكثر تفوقاً،لكن فيروز كانت الأكثر جاذبية وانطلاقاً ومحل إعجاب الجميع.وإن كانت نهالرمز الجد والاجتهاد والتهام الكتب التهامًا، فكانت فيروز أيقونة الإبداع والتميز.وهذا ما ملأ قلب نهال حقدًا عليها.

وما زاد الحقد اشتعالاً أنّي أحببت فيروزرغم تلميح نهال بحبها لي مراراً حتى كادت أن تفصح. ولاذنب لفيروز في حبي لها، فهي لم ترحب به ولم تبادلني إيّاه يومًا قط.وإن كان الأمر بيدي كنت أحببت نهال وضمنت أمر التخرج من الكلية على الأقل. لكن لا سلطان على القلوب. القلوب حرة الاختيار فيمن تحب، ولا حتى تبرر اختيارها.فرغم تفوق نهال في كل شيء إلا أنّي لا أرى غير سحر فيروز.فإن كانت نهال تجيد طهي الطعام فإن فيروز

هي النفس، وإن كانت نهال هي تقلية الملوخيه ففيروز هي الشهقه التي تدب الروح في الملوخيه أقصد في قلبي.

والآن جاء من يفسد طعم الحياه، فقد دخلت فيروز مكتب نهال وهي شاردة. هل كان الباب مغلقاً أم مفتوحًا؟ هل طرقته أم دخلت مباشرة؟ كيف وصلت إلى المكتب وعينيها في عين نهال الآن؟ لم تلحظ ولم ألحظ أنا أيضًا. حاولت استيعاب الموقف والتغلب عليه، وساعدها صوت نهال الذي أفاقها من كل الذكريات.

ـ فيروز!

=إزيك يا نهال

ـمعقول فيروز في مكتبي. وأكيد قصدك تقولي الأستاذة نهال، هههه.

رفعت فيروز حاجب دون الآخر:

=أستاذة ! أه طبعًا.

ـمعلش بس علشان لو حد من الطلبة دخل ولا حاجة إنتي عارفة أنا كمعيدة دلوقتي، أهم حاجة البرستيج قدام الطلبة.

=أه احتمال. مع إن مش ده اللي يخلي الطلبة تحترمك.

كعادة فيروز في إطلاق رصاص من الكلمات القاتله، قالت جملتها. ولم تتخلى نهال عن فشلها في إخفاء كرهها وحقدها على فيروز فقالت في غضب:

ـابتدينا. جيه ليه يا فيروز؟وعايزة إيه؟

فلم تكذب فيروز ولم تتجمل:

= سبحان الله، رغم إنك ناجحة أهو وتفوقتي عليّا، لكن برده مش قادرة تحسي إنك انتصرتي وحققتي اللي انتي عايزاه.

انتفضت نهال واقفة:

ـهانتصر عليكي ليه! هو إيه اللي بيني وبينك أصلاً، أنا ناجحة أهو زي ما انتي شايفة، وفخورة بنفسي جدًا.

هزت فيروز رأسها نافية:

= مهما نجحتي مش هتعرفي تتبسطي بنجاحك، لأنك مش عاوزة غيرك ينجح زيك.

أسندت يدها للمكتب وانحنت برأسها في وجه فيروز، وصوّبت شرار عينها في عينيّها:

ـ إيه الكلام ده! إنتي جاية تهزقيني في مكتبي!

أشاحت عنها فيروز بوجهها واعتدلت في جلستها وقالت:

=لا أنا جايه عاوزة منك خدمة.

لمع بريق في عين نهال حاولت إخفاءه وألقت بجسدها على الكرسيّ بعد أن كسبت أول جوله.

ـ خدمة! واللي عاوز خدمة من حد بيكلمه كده!

بادرت فيروز بالهجوم من جديد، ودبّت أصابع الاتهام في عين نهال:

= أنا آسفة فعلاً أستاذة نهال، بس طول الطريق وأنا جايه مكتبك وأنا بسأل نفسي سؤال واحد، إنتي كنتي بتعملي كده ليه معايا؟!

(ألم أقل أني أعلم جيدًا ما تفكر فيه حبيبتي)

لكن فضول نهال لمعرفة تلك الخدمة التي ستمنحها فرصة إذلال فيروز منعها من الاستطراد في ذكريات الماضي.

ـ بتتكلمي عن إيه أساسًا! أنا نسيت الأيام دي.

ثم نظرت إلى الأوراق الساكنة على المكتب وحثّتها على الحركة، متظاهرة بالانشغال، وتابعت:

وقدامك خمس دقايق تقولي عايزه إيه عشان عندي محاضره.

=حاضر يافندم. الموضوع ببساطه، إن فيه مخرج هندي كبير جاي مصر هايقابلني علشان يحول قصتي عن اضطهاد المسلمين فيلم. بس محتاجة جروب يمثل الإسلام بمعناه الحقيقي قدامه، وللأسف مش قادرة أقول كده ل أ. محمود، إنتي عارفة عنده أرتكاريا الإسلام.

مع كل حرف تنطقه فيروز كانت تتصاعد ملامح الدهشة فوق وجه نهال وتزداد عينُها احمراراً وبدأ يتطاير الشرار منها، وأصدرت الأوراق صرخة استغاثة وهي تنكمش بين يديها قبل أن تحولها أشلاء، وبدأ يتحول جلدها إلى اللون الأخضر كدليل على اكتمال تحوّلها إلى امرأة خضراء في قمة الغضب، وقالت:

ـعرفتي بتفوري دمي إزاي، عرفتي بكرهك ليه. يعني المخرج الهندي ساب كل المخرجين والممثلين والصحفيين وحتى علماء الدين وجاي لك إنتي.

لم تتعرف فيروز على ملامحها. فهي تحقد الآن والحقد يبدل الملامح...

=إيه يا نهال إنتي ليه أوفر كده؟! عينيكي اتحولت كده ليه يا ماما! يا بنتي كل واحد بياخد نصيبه ليه الحقد ده!

ـاسكتي خالص، أنا باحقد أنا!

=واضح إن سارة كان معاها حق، أنا غلطانة إني ما قدرتش أقتنع إنك تكوني سيئة للدرجة دي، اتفضلي يا أستاذة نهال على محاضرتك بس افتكري كويس إن النار اللي جواكي دي مش هاتحرق حد غيرك.

دفعت الكرسي من خلفها وغادرت فيروز المكتب في أسى، وتابعتها نهال وهي مشتعلة من الغضب تكاد تحرق أي أحد يقترب منها وتتساقط منها ألسنة لهب الحقد في كل مكان، وأخذت تثرثر بكلمات كثيرة من الحديث عن النفس والتوعد لفيروز بالفشل. حتى اختفت فيروز من أمام عينيها غير مبالية بما تقول.

ولم تتوجه نهال للمحاضرة بل توجهت فورًا إلى مكتب أ. محمود دافعة الباب في انفعال حتى انتبهت أنها يجب أن تلتزم بعض الحدود، فحاولت التخفيف من سرعتها قبل أن تصطدم بمكتبه، وأخمدت ألسنة اللهب المتناثرة حولها، محاولة العودة إلى صورتها الطبيعية حتى يتعرف عليها أ.محمود على الأقل، والذي استطاع الآن استيعاب ما حدث وأدرك من هو المتطفل على مكتبه، فقال بعبارات حازمة:

ـنهال! إزاي تدخلي المكتب كده!

= أنا آسفة جدًا يا أ.محمود بس الموقف مش محتاج تأخير.

ـ خير؟!

= فيروز، فيروز ضحكت عليك.

ـ نعم! يعني إيه ضحكت عليّا؟ حسني ألفاظك وخشي في الموضوع.

=آسفة مش قصدي، هي قالتلك إن في مخرج جاي عشانها، وانت قررت تزيط وتجيب لها ممثلين ومخرجين.

ـ نقي ألفاظك يا نهال.

= آسفة آسفة. المهم بقى هو جاي علشان يعملها قصتها فيلم.

ـأيوه وبعدين؟ ما أنا عارف.

اقتربت منه وقالت بصوت منخفض كشيطان يوسوس:

=بس متعرفش إن قصتها عن اضطهاد المسلمين. يعني عايزة تقول إن المسلمين مضطهدين ومضطرين يدافعوا عن نفسهم، دي بتدعو للإرهاب.

ـ امم الإسلام، أنا كده فهمت. علشان كده مارضتش تقولي القصة عن إيه. طيب تمام شكرًا يا نهال على التوضيح.

قالها وعاد لمتابعة أعماله، ولم تحظ نهال على ردة الفعل التي تمنتها، ولم يستجب آدم لإغراء شجرة الخلد:

=أيوة يعني إنت هتعمل إيه دلوقتي؟ مش هتاكل من الشجرة!

ـنعم!

=قصدي هتعمل إيه مع فيروز؟

ـخلاص مش وضحتيلي نيتها الحقيقية وكشفتيها!.... شكرًا.

= أيوة بس.

ـإنتي مش عندك محاضرة دلوقتي! سايبة محاضرتك وجايه تقولي كلام مش مهم كان ممكن يتأجل!

= مش مهم إزاي يا أ.محمود! دي كانت هاتستغفلك.

ضاق أخيرًا بها ذرعًا، وقرر طردها فما كان عليه إلا أن يستعيذ، لكنه قال:

ـلآخر مرة هاقولك احترمي نفسك يا نهال، واتفضلي على محاضرتك.

خرجت نهال تجر أذيال الهزيمة وكسرة النفس.فحتى إن كان ينوي أ. محمود فعل شيء، فلم يعطيها الفرصة ليظهر غضبه من فيروز أمامها لتشفي غليلها منها.

ذهبت لتتابع حياتها وتستمر في التباهي المزيف بنجاحها، ولكن هذه المرة يشغلها سؤال واحد ولا تعرف حقًا إجابته.

ماهذه الحرقة التي تشعر بها في قلبها، وما هذه الحرارة المنبعثة مع أنفاسها؟! هل ما يحرق قلبها لهذه الدرجة هو نار الحقد كما يدّعون ؟وإن لا فلماذا لا تستطيع الاستمتاع بحياتها رغم نجاحها؟!

.....

***

الفصل الخامس

أبو العيال

الشخص الوحيد المهمل في البيت.

يعتبره الجميع عبء عليه، فهو الآمر الناهي،مضيق الخناق، كثير الطلبات والانتقادات، مفرق الجماعات، وهادم اللذات.وعلينا تحمله والتظاهر بتقبله، فهو من يمتلك رأس المال .....هذا هو حالي مع سارة وأولادي، وحال كل أب مطحون مثلي، في بيته، وفي أعين أسرته.

لكن كيف أستطيع التغاضي عن تصرفات سارة المتهوره دائمًا، خصوصًا هذه الأيام.

تتحدث كثيرًا إلى صديقتها فيروز، ويهمسون بالكلام. وبدأت تهمل البيت والأولاد،حتى أنها تركتني منتظراً لكوب من الشاي، من نصف ساعه، ذهبت إلى المطبخ لإعداده، وسقطت في بؤرة زمانية، فلم تعد حتى الآن.هل هذا هو اهتمامها بي في يوم وحيد تغيبت فيه عن العمل.

يجب أن أتحرى الأمر وأعرف ماذا يشغلها هذه الأيام.

تسللتُ إلى المطبخ، فوجدتها بدأت في إعداد طعام الغداء، متجاهلة طلبي البسيط لكوب واحد من الشاي، يا للإهمال!. فتحتْspeaker الهاتف لتتحدث، أثناء انشغال يديها في إعداد الطعام وانشغال قلبها عني، مع فيروز كما توقعت.

ـسو قبليني كمان ساعه في الكلية.

=يا بنتي هما قالولك عني إيه! ده أنا أم.يعني مينفعش تكلميني في أي وقت.

ـمعلش يا ماما، سارة بنتك فيروز محتاجا كي.

=أهو كده جيتي على الوتر الحسّاس. أول ما تقولي ماما، تبقى طلباتك مجابه علطول.

وظلت فيروز، الفتاه التافهه التي لم تتزوج بعد، (ولا يصح لامرأة متزوجة أن تظل على صله بصديقات الماضي العازبات فهنّ مضيعةٌ للوقت، إغواءٌ للعقل، خرابٌ للبيت).....كما أنها ليس لها شغل يشغلها، ولا مشغلة تلهيها عن الآخرين. ظلّت فيروز تُروِّح عن زوجتي أثناء إعداد الطعام بحكاويها عديمة الفائدة ومغامراتها الوهمية.

_مش هتصدقي اللي حصل بعد مقابلتي لنهال والهري اللي حكتهولك ده. فوجئت بمحمود بيكلمني وبيقولي أنا عرفت قصتك عن إيه والمخرج جي ليه. وحسيت إن الدنيا كلها باظت ولسه هفكر في plan b و plan d

قاطعتها سارة وهي تتنقل بين الأواني.

=اخلصي متوترنيش الواد على النار. قصدي الأكل على النار والواد بيستحمى.

_أوك أوك لقيته كمل كلام، قالي أنا مش شايف إنها مشكلة، أنا كمان اتغيرت عن أيام الكلية ومبقتش أضايق أوي يعني من الدين وتدخله في حياتنا. وطبعًا أنا كالعاده مقدرتش أسكت قلتله لا يا أ.محمود ده هو أساس حياتنا مش دخيل عليها، قاطعني وقالي فيرووز متخلنيش أغير رأي اسمعي هقولك إيه.الموضوع فيه تبادل

ثقافي مفيد، فاحنا هنعمله استقبال فني كمخرج، ويبقى history حلو للكليه. وبعدين استقبليه إنت استقبال ديني كهندوسي براحتك. وكمان هساعدك بتجميع الفوج اللي انت عايزاه. وقالي آجي انهاردة نختار من مجموعة طلبة وعايزا كي تيجي تنقي معايا.

= أنقي إيه وأنا مين هينقيلي الرز؟. بصي أنا هحطلك خطة اختيار محكمة وانت عيشي.

_لا أنا مستغناش عنك يا سوشي.وبعدين يا بخت من حط خطة ونفذها.

كانت هذه كلمة السر لموافقة سارة. فمغامرات فيروز تعيد لها ثقتها في نفسها، وروحها الحره الطفولية، والتي ترى افتراءً، أن الزواج هو من حرمها منها، بعد أن خنقت مشاغل الحياه ومسؤولية التربية تلك الروح.

صاحت سارة بعد إنهاء المكالمة مستدعيه يارا ويحي. من الواضح أنها قررت أن تذهب وتأخذهما معها، فبما أنها نسيت أمر وجودي بالمنزل فلن تستطيع تركهما وحدهما هنا.

اختبئت مسرعًا لأكتشف ماذا تفعل بصغاري الأبرياء.

جمعت سارة يحي ويارا،وقررت مزج روحها بروح أطفالها الأنقياء.واستدعت أيضًا روح المحقق كونان لإتقان المهمة على

أكمل وجه، ووصت أولادها بالتحلي بأخلاقه في كشف أسرار الجريمة.

ـجريمة إيه يا ماما ؟ ردت يارا في استخفاف.

=احنا هنروح في مهمة مع طنط فيروز.أنا هدخل معاها مكان وانتو تراقبو المكان لحد لما نخلص.

ـتمويه يعني يا ماما

=تمويه! أه بالظبط برافو عليكي.

ـمتقلقيش يا ماما إنت في إيد أمينه.

=ماشي يا أمينه.وانت يا سي السيد،معلش نتقل عليك، اطلع معانا الطلعة دي يا يحيى.

اكتفى يحيى بإيماءة خفيفة برأسه. فهو رزين مثلي وليس بتفاهة أمه وأخته. دخلا الطفلان غرفتهما متجهين لصندوق الدراما، فاختارت يارا لبس الأبطال الخارقون، بينما اكتفى يحيى بهاتفه السلكي ونظارته السوداء وسماعة الأذن مستهترًا بخطورة الموقف.

هذا ما تفعلوه في غيابي إذاً. يبدو أني غبتُ أكثر مما ينبغي عن البيت.....

عزمت أن أُنهي هذا العبث اليوم. انتظرت حتى أنهت سارة استعداداتها الأخيره للخروج، أطفأت بقلبهاالبارد النّارعلى الطعام، وحاولت إعادة الزمن بارتداء ملابسها التي كانت ترتديها أيام الزمن الجميل،أيام السَّنة الأولى من الزواج، فضغطت بشده بزر بنطالها على آثار حملها لأطفالي في بطن واحد،حتى نجحت في عبور الزر فوق ذكريات الماضي واحكام اغلاقه في عروة الحاضر. وارتدت قميصًا كحلي اللون،لأن الألوان الداكنة تظهرها أقل وزنًا كما تخبرني دائمًا. وتخلت أخيرًا عن رباط شعرها فتركته ينسدل خلفها في حريه... ولا أنكر أنها معذوره بعض الشيء في تذمرها مما وصلت إليه. فهي حقًا لم تتمتع بشبابها كباقي أقرانها. كانت جارتي وحبيبتي من الطفوله. ومن لهفة الشوق والخوف عليها من أن تضيع مني خلف أسوارالجامعه، تقدّمت لها بعد نجاحها في الثانوية العامة مباشرة. وصممتُ على الزواج في السنة الأولى الجامعية. كنا في غاية السعادة لتتويج حبنا بالزواج، وبالحمل الذي زارنا سريعًا. لكن ما ذنبي أنا أننا رُزقنا بعد تسعة أشهر فقط، بتوأم..... كالفت به ومعه طوال سنوات الدراسة.

همّت بالخروج من غرفتها لتجدني أمام الباب أتأملها، وغارق في ذكريات الماضي.

ـطارق!

=إيه. نسيتي إني في البيت انهرده.

_ها! لا أبدًا.أنا كنت ....

=متشغليش بالك. تعالي أوصلكم.

_ كده من غير ما تعرف رايحين فين. وازاي نسيت أقولك.

=بصي يا سارة أنا تعبت من الخناق. مفهاش حاجة لما تنزلي مرة في سلام.

(وأكملت في سري، لا بأس بما أنها ستكون الأخيرة)

.....

أتممت دوري كأب حنون وزوج متعاون، حتى ودّعتهم أمام بوابة الجامعة، ثم ركنت السيارة وأسرعت خلفهم لأكمل مهمتي في إنقاذ عائلتي من الضياع..

.....

لم تصدق فيروز عينيها وهي ترى غموض سارة وأولادها، كما لم أصدق أنا أنّ هذه هي عائلتي الوقورة. أسرعتْ إليهم ترحب بالأولاد، لكن التجاهل كان سيد الموقف ولم يقابل ترحيبها إلا بالصمت.ثم قالت سارة:

ـمعلش أصل الولاد متقمسين الدور، أصلي حاولت أحسسهم بأهمية دورهم، وإننا جيين مهمه سرية وكده.

فأثلجت فيروز صدري حين قالت:

ـأه طب تمام معلش حبايبي محدش يختار مامته.

.....

بقلب الأم المتحجر وعقل المرأة المُغَيَّب، تركت سارة فلذات أكبادها في كافتريا الكلية، واختفت هيوفيروز في خفةعن الأنظار، متجهين إلى المدرج المستهدف، وتباطئت خطواتهم كلما اقتربوا من الباب المفتوح وتأملوا وجوه الطلاب الذين في انتظارهم. كانت مجموعة لا بأس بها من الطلبة منتشرين بعشوائية في القاعة.

لم تكن البداية مبشرة.فقد جاء الصوت جليًا فور دخولهم القاعة:

ـهي الليلة دي كلها عشانكم،آه لو أعرف.

نظرت سارة لصاحب الصوت وشوشرت عليه كما تفعل معي تمامًا:

=إسلام! كنت عارفه إنك هتنبسط لمَّا تشوفنا

ولم تمهله الفرصة للرد، وأكملت:

ـها يا جماعة، إيه رأيكم نتعرف كده عمال ما أستاذ محمود يوصل.

بالطبع ستخبرهم سارة مأساتها في حرمانها من العمل بسبب الزواج وسنينه.

ـأنا سارة إبراهيم دفعة ٢٠١٦.اتجوزت بدري، بدري أوي الحقيقة. وجبت توأم، يارا ويحيى، فلحقتش أشتغل للأسف.

ثم تبعتها فيروز:

وأنا فيروز أحمد. دفعة سارة،بحب الكتابة بكتب في البيت وأنشر على الحيط، لحد مالاقي دار نشر إن شاء الله.

همّ رجلٌ ذو هيبة بالدخول وأنا أتظاهر أني مجرد مارّ متطفل من أمام الباب.

وسرعان ماتلاشت هيبته مع ضحكاته المقهقة بعد سماعه كلمات فيروز الأخيرة، وقال مُعلقاً:

إنت لسه ملقتيش مشابك.

شعرت فيروز بالحرج. خاصة أنها دائمًا تشعر بالحرج عند الحديث أمام الناس. وربما كان هذا سبب لجوأها المستمر لسارة، لكن هذا ليس مبرر أن تشغلها عن بيتها وزوجها. وزاد الرجل

المقهق إحراجها بتعليقه، فالتزمت الصمت. وحاول هو تدارك الموقف فقال:

ـفيروز كانت دايمًا مشاغبة، بس واحده من بناتي اللي بعتز بيهم. وانهردة جيه لبيتها التاني وسط عيلتها طالبة طلب منكم.

فعلّق أحد الطلبة في محاوله ألش سخيفة:

ـبيتها الثالث.إنت نسيت المدرسه يا مستر محمود.

فاستخف آخر ما بقي فيه من دم:

ـلا ده أنا أبات في الشارع ولا أعد في بيت من دول.

فضحك الطلبة وقهقه أ.محمود مجددًاوهو يقول:

ـمتستعجلش ده هيبقى مصيرك بعد الكلية.

فضحك الجميع مرة أخرى.

حتى ملّت فيروز من هذا اللقاء الضاحك عديم الفائدة، فقالت:

ـطيب يا جماعه ضحكنا كتير ندخل بقى في الجد.

نكزتها سارة في الخفاء، فهمست لها فيروز طب اتصرفي إنت بقى، مش عارفه أزوق الكلام.

جمّلت سارة الكلام وكان خيرًا لها أن تكون في بيتها الآن تتجمل لي:

ـسوري يا جماعه أصلنا متحمسين جدًا معلش.

بصو بقى، لما حد بيسافر فينا بره يجب يكون صورة مشرفة لمصرولدينه، صح.إحنا بقى هنجبلكم الأجانب لحد عندكم وعايزين نوريهم بقى تحضرنا.

فقاطعها أحد الطلبة مستنكرًا:

نكون صورة مشرفة لمصر، في مصر؟! مهو لازم نطلع بره عشان نحس بغلاوتها. أصلاً جينات الوطنية بناخدها مع ختم الباسبور. لكن طول ما احنا غرقانين في فسادها، قصدي جمالها، مش بنبقى قادرين نشوف الجمال ده. لازم نبعد عشان نقدر نشوف الصورة أوضح، نشوف الصورة على بعضها.وفي حالة مصر، لازم نبعد أوي.....

ـاسمك إيه ؟

قالتها فيروز دون تفكير محاولة استيعاب ما قال، معجبة بطريقة تفكيره.

=باسل

_أشكرك يا باسل. كلامك مهم وبيوجع، بس هو الحل إننا نسيبها.

=أنا مقلتش نسيبها أنا حتى بشتغل فيها من دلوقتي.

أنا بقول لو عايزين نعرف غلاوتها نبعد عنها.

_هايل.عارف يا باسل أنا ليّه وجهة نظر في الموضوع ده.إننا.....

قاطعتها ساره، خشية من فلسفات فيروز التي لا تنتهي:

المهم دلوقتي إحنا جيلنا واحد أجنبي فعلاً، ومحتاجين مجموعة منكم تمثل الكلية ودينا وبلدنا.

أكملت فيروز:

إحنا محتاجين ببساطة حد ناجح في حياته وفي نفس الوقت يبقى متدين.ومحتاجينه كمان يكون عنده معلومات دينية عشان إذا سألنا في حاجة نعرف نرد.

أرادت سارة إشعال الحماسة بين صفوف الجماهير:

ها مين هيبتدي، مين قال جاي؟

وساد الصمت القاعة، فأردفت سارة:

لا يا جماعه إحنا فينا كلنا خير، اتكلموا انتوا بس. ممكن تكون إنت النموذج ده وانت مش عارف، طلع المسلم اللي جواك.

لم يجد جديد ولم تلقى كلمات سارة أي حماسة، ثم علق واحد على استحياء:

ـانتوا إيه...

فاستغلت سارة الفرصه، وقاطعته:

ـ أنا أحييك إنك خدت المبادره، اسمك إيه بقى؟

=مؤمن

ـماشاء الله عليك.

=لا يا فندم اسمي مؤمن، وأنا مش مسؤول، ده ذنب أبويا وأمي.

أنا كنت عايز أقول إيه اللي انتو بتقولوا ده! كفايا تدخل للدين في حياتنا بقى. والكلام في الدين ده تخصص أهل العلم مش أي حد معدي.

فثارت فيروز:

ليه؟ ليه دايمًا شايفين إن دي مسؤولية أهل العلم. اشمعنا في الكورة مبنقولش نسيب الموضوع للمحللين وبخلل ونفتي ونزيط براحتنا.

فسارعت سارة مسك يد فيروز هامسة لها:

فرملي يا فيروز لمي الدور مش كده.

وحاولت إصلاح ما تفسده فيروز كالعادة:

سوري ياجماعة هي فيروز بس واخداها الحماسة حبتين. بس إنتَ معاك حق يا مؤمن، إحنا ممكن نجيب حد متخصص من الأزهر معانا. خلينا نرجع للشرطين بتوعنا عايزين ببساطة حد ناجح في حياته وملتزم بأساسيات الدين.

فرفع آخر صوته يعني إيه أساسيات الدين أصلاً، مهو إحنا لو نعرف نقول علطول.

أجابت ساره:

ـمعاك حق برده. طب لو سمحتي يا فيروز وضحي أكتر إنت عايزاه إيه.

استرسلت فيروز بملامح جادة:

طيب يا جماعة إحنا عندنا مبادئ بسيطه في دينا،أركان خمسة نعملها، نصلي، نصوم، وشوية أخلاق نتخلق بيها، بس كده.

فقاطعها صوت معترض طب ما كلنا بنعمل كده فين المشكلة؟

فأثار من جديد بركان فيروز الحامد:

المشكلة في شوية حاجات بنعملها تحت مسمى وهي ليها اسم تاني خالص. المشكلة في التطاول على الأب والأم عشان هما خنيقة وأفكارهم قديمة، وهو اسمه عقوق والدين.

المشكلة في شرب ويسكي وكونياك وفودكا.

But guess what دول كلهم اسمهم خمر.

المشكلة في تجارب الحياة والخبرة، ها.....وهي اسمها الحقيقي، معلش هتحس إنها كلمة تقيلة على ودانك شوية استحملني، اسمها زنا.

المشكله في كسوفنا من دينا وإنه بيأخرنا عن العالم. مع إن اللي يظبط المعادلة دي الشرط التاني،إني أكون نموذج ناجح في حياتي بمشي بخريطة ديني ألف العالم بس يبقى معايا ال

mapkey

وابقى كده package مسلم على بعضه.

مسحت سارة وجهها وفركته عدة مرات في محاولة يائسة لمسح كلمات فيروز الأخيرة. لكنّ لا أمل. فالكلمة مِلكُك وهي في جوفك، وإذا خرجت، ملكتك، وامتطت جواد يركض بسرعة الصوت لتخترق الهواء منتشره بين ذراته، مخترقة كل أذن مصغية.

.....

ساد الصمت لحظات.

ثم رفع أحدهم يده محاولاً رفع رأسه معها، رغم ما به من انكسار، وقال:

_ أنا أحمد سنة رابعة معتقدش هفيدك كتير. أنا بصلي بس بقطع ولو خارج مع صحابي هتكسف أقوم أصلي. وبما إني علطول مع صحابي فبصلي اللي أقدر عليه آخر اليوم.. بحب واحده بس عارف إني مش هتجوزها لأن أول ما نتخرج هتلاقي العريس الجاهز بعد رحلة غربته في أقطار الخليج، مستنيها في الصالون.وطبعًا لأن مفيش أهل هيرضوا لبنتهم أقل من بنت خالة أبوها، فهي تكسفوا يجوزوهالي.....بحب الرسم بس هدور على شغلانه تأكل عيش عشان ألحق أحوش أي حاجه، وأقابل أي بنت، واتجوز أي جوازه، عشان ميفوتنيش قطر الجواز وامشي مكسوف. إحنا هنفضل محبطين لأننا علطول محرجين مكسوفين. مكسوفين من

دينا، ومن الناس، وحتى من أحلامنا.....مش عارف هل هو ده التوازن اللي كنتي تقصديه، لمّا أحب حاجة وأعمل حاجة تانية.....

لم تستطع فيروز التعليق ولم تجمل سارة الصورة، فحاول أ.محمود:

ـإيه يا جماعه مش كده كلنا بنقابل تحديات. واحنا مش عايزين حاجة كبيرة، في نجاحات بسيطة في حياتنا تستاهل نفتخر بيها زي مثلاً .....مثلاً، هو إنت عايزه إيه بالظبط يا فيروز؟

فأجابت فتاة دخلت القاعة للتو:

ـأكيد عاوزة بنت مثلي. السلام عليكم أخت فيروز، أنا مروة، سمعت عن الفوج اللي بتجمعيه وأعتقد إني النموذج اللي بدوري عليه. أنا الحمد لله محجبة حجاب شرعي زي ما انت شايفة، أفضل من حجابك بفضل الله، ملتزمة الحمد لله ومعايا مجموعة طيبة من الأخوات.

نظرت سارة لها نظرت استنكار، وعقبت فيروز متغاضية عن نبرة الكبر في صوتها:

طب ممكن تكلمينا عن إنجازاتك وطموحاتك عشان نكمل الصورة.

ـقصدك إيه يا أختي ؟

=يعني مثلا متفوقة في دراستك. ناوية تكملي ماجستير.

ـيا أختي أولاً كل العلم اللي بنتعلمه في الكلية للأسف مش علم شرعي.إحنا منتظرين نخلص بفارغ الصبر ونتفرغ للدعوة.

وهنا وجدت سارة فرصتها للتعبير عما تحمله في قلبها من سنوات:

ـأيوه تعاليلي بقى. إيه موضوع علم شرعي دي، وربنا مكرم العلم كله. وليه لازم تقولوا أختي وأخوات وكده، هه ليه!وبعدين إنت طبيعية! دعوة إيه اللي نتفرغي ليها؟ إنتِ خريجة إعلام،يعني قدامك أهم منبر توصلي بيه صوتك.

حاولت فيروز هذه المرة تهدئة سارة، ومنعها من التطاول على مروة بيدها الطائشه يميناً وشمالاً وهي تتحدث، فأجابت مروة الإجابة النموذجية:

إنّه إعلام فاسد.

فردت فيروز:

ـفاسد من وجهة نظرك، نسيبه؟! ولا نحاول نبقى جزء منه ونصلح على قد ما نقدر.

=لو دخلناه هنتحرق بناره.

ـوليه منبقاش إحنا النور اللي طاقته أقوى من لهيب النار بكتير.

لم تبالِ مروة بشعارات فيروز وقالت:

ـعلى العموم أنا كنت فاكراكم عايزين حد يمثل الإسلام الصحيح، مش إسلام وسطي كيوت.دي صاحبتك مضايقة من كلمة أخوات، ليه؟ها! مسمعتيش عن الإخوه في الإسلام؟ إيه اللي مزعلك؟!

جاء وقت فلسفة فيروز:

ـالإخوة في الإسلام مكنتش بالكلام يا مروة. كانت بصحابي بيقسم بيته وفلوسه بينه وبين أخوه في الإسلام. واحنا مصرين نتمسك باللفظ ونفرغه من معناه. وهي سارة بتحس بس إن ليكم لغة خاصة كده بتبعدكم عن الناس، مع إن كل رسول كان بيجي بلسان قومه.

ثم علت نبرة فيروز وقذفت أحد شظايا بركانها:

أمَّا بقى بالنسبه للدين الكيوت.فلأ عندك. إحنا ولا عايزين دين cute ولا دينmute جاف مفهوش روح وملهوش صوت.....

عمومًا تخيلي دي طريقة كلامنا مع بعض،أمال هنعمل إيه مع مخرج هندي....هندوسي!

وهنا حدثت فجأة الوحدة الوطنية وبناء المسلمين كالجسد الواحد وضج الجميع،

ـبتقولي مين، مخرج هندي!!

أمّا مروة فوجدت أخيرًا ثغرة تدخل منها لفيروز:

ـآها. كده الصورة وضحت. وهتعمله مع بعض فيلم عربي ولا هندي؟ ما الاتنين أنيل من بعض.

فقاطعتها سارة بجيناتها الهندية المكتسبة:

ـلا مسمحلكيش.الأفلام الهندي اتغيرت خالص وتخلت عن الأفورة.

أدارت مروة ظهرها وهي تبتسم ابتسامة احتقار وسخرية، وخرجت.

.....

وهنا لم أتمالك نفسي فظهرت للمدام، وأنا في قمة الغضب، حتى أعيدها إلى الأفلام العربية، وصورة الرجل الشرقي الأصيل. وتستفيق من وهم الأفلام الهندية، والمسلسلات التركية التي تفتقد إلى المصداقية والواقعية، ولا تعير اهتمامًا لشقاء الرجل المصري، الذي يعمل بوظيفتين أو ثلاثة حتى يوفر لعائلته وسائل الترفيه

والراحة. وهو ما يجعلهم يمتلكون الوقت والرفاهية، لمشاهدة تلك الخرافات المحرضة عليه.فينقلب السحر على الساحر ويصبح هو من حفر قبره بيده.....نظرت إليّ سارة في توتر وقلق وخوف ودهشة. لكنها تعرف جيدًا كيف تمتص غضبي، لم تمهلني الفرصه لأتحدث كالعاده. طارق حبيبي! إيه المفاجأة الحلوة دي. الولاد هيفرحو أوي لما يشوفوك. وجذبتني من يدي بقوة المرأه السحرية، واعتذرت لفيروز في عجالة، وخرجنا في محاولة أخيرة لاستعادة حياتنا الزوجية من جديد.

.....

***

الفصل السادس

باسل

مازلت أجلس بين صفوف الطلبة متابعًا هذا اللقاء الساخر بين تلك الفتاة الغريبة التي جمعتنا هنا لنمثل مصر الإسلامية أمام دولة الهند الهندوسية الشقيقة. هل تسعى للتصالح بين الأديان أم لحل الصراع بين الحضارات.

فاصطدمت بصراعاتنا الداخلية بين مروة الإسلامية إسلامية، ومؤمن العلماني المتمرد على اسمه، وبينهما أحمد، الشاب المحبط المظلوم بين هذا وذاك.

لكن أكاد أجزم أنه لم ينال إعجابها سوى كلماتي عن حب مصر والبعد عنها والهروب منها إليها. بدى ذلك واضحًا في عينيها الساحرتين وملامح وجهها المذهولة في براءة، وسؤالها عن اسمي في خجل خفيّ.

وزاد المشهد هزلية، صراع الأزواج المتمثل في سارة، الزوجة التي تحاول إثبات ذاتها وأنها مازالت بخير رغم الزواج والخلفة. وتستطيع أخذ دور فعّال في المجتمع بجانب دور الأمومة. وزوجها الفاضل، الذي يحاول أن يسيطر على أهل بيته ويثبت أنه يستحق لقب زوج مصري بجدارة.

بدى الآن صوت الطلبة أكثر وضوحًا، بعد خروج الجماعات الإسلامية والخلافات الزوجية من المشهد، وأضاف كل واحد منهم تعليقه:

ـمش تقولي من الأول إنه مخرج.

ـطب ما كلنا مسلمين وزي الفل.

ـده مش جي يعلن إسلامه هنا. ده مخرج هندي، يعني عايز رقص وبنات وشرب.إنت عايزاه يقول علينا متخلفين.

ـعلى فكره يا أ.محمود، فيروز دي هتبوظ العلاقات المصرية الهندية.

=بس يا بني احترم نفسك إنت وهو.

صدّهم أ.محمود ثم وجه كلامه لفيروز:

ها كده كفاية ولا عايزه تسمعي أكتر.

بدت الإجابة واضحة على وجه فيروز اليائس، وهي تشكره على تعبه ووقته، وهمّت بالخروج. وصوت أ.محمود يكمل، يلا يا شباب شكرًا ليكم. نشوفكم في حفله الهاليوين اللي محضرها لنا إسلام.

فالتفتت فيروز بسرعة، ناظرة نظرة احتقار لإسلام، الذي أومأ برأسه مستنكرًا:

إيه هاليوين مفهاش حاجة دي.

.....

خرجتُ خلفها مسرعًا، ولا أدري ما الدافع؟ فكنت مستمتع بدور المشاهد. لماذا أُقحم نفسي في قلب الأحداث؟!

رأيتها تسير بخطوات مثقلة بالهموم، مطأطأة الرأس. اقتربتُ منها، اقتربتُ أكثر، حتى أصبحت خلفها تمامًا.

سمعتها تهمس:

إزي الحال دلوقتي؟ معقول مفيش ولا واحد طلعت بيه؟!

ثم توقفتْ فجأة، كأنما تذكرت شيئًا يخرجها من المأزق. تذكرت أحدًا، يمكنه أن يكون ملاذاً لها إذا ضاقت الأرض بما رحبت، وسنداً تتكأ عليه، ومؤمنًا بها، حين يخذلها الجميع. فهتفت باسمه بصوت مرتفع:

باسل.....

فاستجبت في الحال لاستغاثتها.

نعم.ـ

التفتت إليّ في فزع.

باسل !

لأُجيب النداء من جديد: أيوه.

فظلت تلتفت حولها كأنما تريد الاستنجاد بسارة، كما كانت تفعل في القاعة. لكن فات الآوان، يبدوا أن عليها المواجهة وحدها من الآن وصاعدًا.

فقالت في ارتباك:

=أنا ناديتك صح؟

ـاحم. أنا كنت ماشي عادي، ولقيتك وقفتي فجأة قدامي وقلتي باسل. تقصديني أنا مش كده؟

ارتبكت أكثر وقالت ناظرة للأرض:

= آه

حاولتُ تخفيف ما بها، رغم أنه لا يعنيني ولا يهمني في شيء:

ـآسف على اللي حصل.

فأجابت في حزم رافضة أي لهجة شفقة أو تعاطف:

ـحصل خير.

وتابعت:

ها. تحب تبقى معانا؟

= كده من غير ماتشوفيني متوازن ولا لأ؟

ـأعتقد أن عندك حاجه مختلفه. ها آه ولا لأ؟

=آه.

ـبتقول آه؟

=بقول آه.

لماذا أجبت هذه الإجابة الجالبة للمتاعب. والتي جعلتني أستمع لعجائب فيروز:

ـتمام. بعد إذنك قولي إيميلك وهبقى أبعتلك التفاصيل.

=إيميل؟! طب الواتس آب أسهل.

ـلا لا الإيميل بعد إذنك. ولو مش عايز مش مشكلة.

=خلاص خلاص. ممكن موبايلك.

وقبل أن تخرج فيروز الشرار من عينها،

أكملت مصححًا:

ـمش النمرة. قصدي الموبايل نفسه، أكتبلك الإيميل.

وأخذت الهاتف وبحيلنا المعروفة في عالمنا الرجولي الغامض أجريتُ اتصالاً برقمي من هاتفها دون أن تلحظ، ربما أحتاجها في يوم من الأيام.ونفذت لها ما أرادت وأعدت الهاتف بسلام.

وبكلمات قليلة حكيمة موزونة ألقت التحية ورحلت.

وتركتني أتخبط في ظلمات بحورها وأحدث نفسي عنها.....

.....

شكلها جد أوي وهي بتتكلم، تحس إنها مركبه maskعلى ملامحها الرقيقة عشان محدش يقرب منها، محدش يتجاوز حدوده معاها.بتفكرك في كل لحظه إنها مش بنت حلوه تتسلى بيها، لا فوق وبص فوق، في هنا عقل اتكلم معاه.

تحس إنها بتوزن الكلام قبل ما تقوله، بتوزنه بجد،بحيث ميطلعش فيه كلمه زيادة، فتحس ساعتها إنها بتتساهل معاك، وأخدتك عليها، وكده مش piece

بتنقي كمان الكلام الرسمي أوي، وده واضح جدًا من طلبها الإيميل بدل whatsupno

Or facebook account

زي أي حد طبيعي عايش في ٢٠١٨.

واضح كمان إنها بتخاف من الناس، بتخاف من نفسيتهم وعقولهم المريضة. بتحاول تكسب احترامك حتى لو إنت مش محترم أصلاً، وفعلاً عملتها معايا. متقدرش غير إنك تحترمها، وتفكر نفسك إنك تعاملها كما لم تعامل بنت قبل كده أبدًا.

جميلة بصراحة، جميلة مهما حاولت تخبي جمالها وأنوثتها.... بحجابها.إزاي قدرت،إزاي عرفت تعمل المعادلة الصعبة....تبقى محجبة... وجميلة!

إزاي الحجاب مخدش من جمالها، وازاي جملت هي الحجاب. وازاي خلتني أحب حجابها رغم إني بشوفه تخلف ورجعية.

طب إزاي شافت فيّه أنا حاجه مختلفة،إزاي اختارت أسوأ واحد للمهمة اللي هي عايزاها. متعرفش المسكينة إنها محتاجه تقنعني أنا بالإسلام الأول رغم إني مسلم في البطاقة.

وازاي خلتني أنا باسل اللي البنات بتستنى أعبرهم ب like حتى، خلتني أعد أستنى جواب من المحبوبة، أوبا الجواب وصل، قصدي الإيميل:

ـالسلام عليكم (طبعًا لازم تبدأ كده)

ـهسألك الأول سؤال محرج بالنسبالي شوية (أيوه بقى مش مرتبط أنا آه)

ـبتعرف إنجليزي كويس (هههه إيه السؤال ده)

أصل أنا مش متعوده أتكلم بيه أوي، تأثير المدارس الحكومي بقى مقدرتش الكلية عليه، وخايفه من النقطة دي لأني شايفة ده تقصير مني في ديني. كان لازم أتقن الإنجلش طبعًا عشان أقدر أمثل الإسلام صح وأتواصل مع الغرب كويس.

(يا نهاري دي بتحاسب نفسها على الإنجلش كأنها مصلتش الفرض)

ـفلو إنت متمكن من اللغه يبقى كده وزنا الموضوع.

(يادي الوزن والميزان،

(Ok my dear don’t worry I am native

طب إيه بقى، ما دي فرصه كويسه أخلع من الموضوع بحوار الإنجلش ده.

بس أنا بعرف إنجلش كويس أكذب يعني!

لا يا راجل إنت هتستعبط.لا دي هتبقى مساعدة لواحدة زي القمر بسكوته كده تخاف عليها أحسن تتفتفت، تحس إنها ضعيفة أوي من جوه، رغم الشرار اللي بتحاول تطلعه من عينها. بس ضعفها باين أوي، بتخاف وبتتحدى خوفها و .....

بس بس. إيه يا باسل ده كله، بتبرر ليه، ماتكمل عادي وشوف علاقة زي دي هتخلص على إيه وأنا حاسس إني عايز أساعدها وأنقذها من إنها تقع في إيد واحد تاني يستغل براءتها.

خلاص يا باسل بقى، أنا هساعدها ومش جي أتوب على إيديها يعني.وآدي الإيميل:

ـ إزيك فيروز

متقلقيش من النقطة دي خالص أنا بسافر كل سنة أمريكا.

Send

إيه الإيميل المختصر ده واضح إني بقيت بوزن الكلام أنا كمان.

وصل الرد:

طب تمام، خلاص تبقى موجود في المطار بكره الساعه ١٢ الظهر وحاول تقرأ كتب دينية كدة زيادة في المعلومات.

...

هههههه مش ممكن دمها خفيف بشكل. كتب إيه؟ وأزود إيه؟!

آه يا فيروز، شكلك إنت اللي هتبقى خطر عليه، مش أنا اللي خطر عليكي.أنا عشت عمري كله مشفتش كتاب دين في بيتنا، لمحت القرآن مرة في مكتبة أبويا، واضح إنه حطه عشان يثبت لنفسه إنه why not إحنا برده مسلمين معندناش مشكلة مع الدين. أو يمكن عايز يثبت إنه انفتاحي، وزي ما مكتبته فيها كتب عن الليبرالية، والشيوعية، والإلحاد، فيها برده قرآن.

اده! ده بابا كان متوازن زي فيروز. ولا مامي حبيبتي اللي انتشلتني من الضياع لما بدأت أسمع مصطفى حسني، واتأثرت، وبدأت أصلي في الجامع. وشافت إن ابنها هيبقى ضحية جديدة لموضة الدعاة الإسلاميينبتاعت اليومين دول، اللي هدفهم تدمير شباب الطبقات الهاي كلاس. فدافعت باستماتة. سفرتني أمريكا بحجة أغير جو بعد الثانوية العامة، ومرتحتش إلا لمّا اتأكدت إني انفتحت هناك الحمد لله، وانبهرت ونسيت أصدقاء السوء.

وكان معاها حق. فعلاً الناس هناك ببساطة، أخلاق وجد وبتوع شغل وناجحين، وهما عادي بيشربوا ويعملوا علاقات، ولا شفت الأرض اتهدت، ولا مالت الحيطه عليهم،ولعنة الله حلت بيهم زي ما كان الشيوخ مفهمنا.

وأنا ولا زي بابا اللي بيحب يظهر بمظهر المثقف المتفتح الغير متعصب، ولا زي ماما اللي مسلمة عادي بتصلي ساعات بتدعي أحيانًا ومشكلتها الوحيده مع الشيوخ والجماعات اللي بتغسل عقول الشباب لحد ما يلاقوا نفسهم، بكامل إرادتهم، بينهو حياتهم بإيديهم، جهادًا في سبيل الله.

أنا كنت واضح مع نفسي واخترت طريقي ببساطة.....بعد ما سافرت أمريكا واكتشفت كذبكم كلكم. قررت إني مش هصدق إلا اللي أشوفه بعيني، وأتأكد منه بنفسي. أنا مؤمن بنفسيوبس. وبالتالي أنا مش مؤمن بأي إله إلا لمّا أشوفه. أكلمه وأسمعه. ولا مؤمن بأي دين إلا لما يجي الإله ده ويقولي خد الكتاب ده بقوة. لحد الوقت ده كل معجزات الأنبياء بالنسبالي هي حكايات ألف ليلة وليلة، وأسطورة من الأساطير.....

هي فيروز عايزه تثبت إيه بالظبط؟ صعبانه عليه.عايزه تقول إن الإسلام دين تسامح ورحمة! هي ماشافتش الشباب اللي زيّ والمواطنين المتدينين بالفطرة، بيعتدوا عليهم عشان بس آرائهم

مختلفة عنهم. ولا شافتازاي الكره والعداوة للشيعة اللي اكتشفت إنهم مسلمين أصلا مش كفار!! تكفير أي حد يختلف في الرأي. وشيوخ عيّنو نفسهم متحدثين رسميين عن الله. ومنفذين أحكامه بإيديهم، لأنه من رأى منكم منكرا فليغيره بيده طبعًا.....

وواحد يقولك جيش الله سينهض من الصحراء حاملاً علمًا أسود ليؤسس خلافة إسلامية عالمية.....وترجعوا تقولوا لا إكراه في الدين! إزاي وأنا لم أملك اختيار الدخول فيه ولا من حقي الخروج منه.....بسلاااام.

مش عايز أفتكر. مش عايز أفتكر اللي شفته منكم ومن تفكيركم وهمجيتكم. كنت متدين، وقفت قدام رغبة أهلي وتجاهلت مخاوف أمي، وتدينت. ثم سألت، شوية أسئلة منطقية، لما انتم قولتولي إن ربنا قالنا فكروا، اعقلوا، تدبروا.....فكرت، تدبرت، عَقِلْت الأمور، وسألت..... ملقتش إجابة، لقيت هجوم، تعنيف، ردم فوق أسئلتي الثائره، دفنتوها حية.... تجاهلتم الإجابة ولجئتم للاتهام، للتشكيك، للتخوين، وأخيرًا للتكفير. فأهلاً بالكفر إن كان هو النجاة من تخلفكم، وأهلاً بالإلحاد إن كان هو التحرر من إلهكم.....

آآآه يا فيروز. المفروض إنك زيهم، ليه عايز أساعدك؟ ليه مش قادر أتجاهلك؟ ليه فيه وجع في قلبي؟وليه حسيت بحاجة في قربك؟

بصي يا بنتي إنت داخله على موضوع مش قده، مش عارفه أبعاده بالظبط،وإنتِ خام ومعندكيش خبره، وهبله، وده واضح طبعًا من اختيارك ليّه.

أنا مش هستغلك.أنا هوريكي الجانب اللي إنت عايزاه واللي اتعلمته في أمريكا، مش من الإسلام بتاعك،هوريكي الالتزام والجديه، احترام الوقت والبشر وتقبلهم باختلافتهم واحترام خصوصيتهم وحرية اختيارهم، هتشوفي شاب مكافح بيشتغل مذيع أد الدنيا وهو لسة طالب مش مقضيها بنات وبس.....بسهخبي عليكي شوية حاجات مش هتقدري تستوعبيها. لأن دينك بيضيق أفق تفكيرك وبيفهمك إنك إنت لوحدك اللي صح.

كل اللي نفسك تشوفيه في المسلمين هتلاقيه فيّه، بس مش متأكد إنك هتلاقيني مسلم أصلاً.

.....

***

الفصل السابع

الكاميرا

لست وحدي هنا، هناك الكثير من الكاميرات. هل أبدو لهم غير كافيه، يبدو أن لا أحد يعترف إلا بالصوره التي يلتقطها بنفسه. حشد ضخم اليوم، هناك لافتات بلغة لم أعتد التقاطها، إما أن تكون صينية أو هنديه.لكن لا بأس، فهناك ترجمة باللغة الإنجليزية التي اعتدات عدستي على رؤيتها.

هناك العديد من المعجبين المهوسين، وتتناثر أمانيهم في جنبات المطار برغبتهم في رؤيته وتقبيله وأخذ السيلفي معه. أما النخبة العاقلة من الصحفيين، فبدا على البعض الاهتمام بالحدث وبدا البعض الآخر غير مبالي،متعجب من حضور الشخص المنتظر،ومن وجه له الدعوة؟!. كما رأى البعض أنه لا بأس، فهي فرصة لالتقاط الصور، وانعاش حركة السياحة.

أمّا هناك في الركن البعيد الهادي، وقفتْ بمنتهى التوتر فتاة، تبدو من الوجوه التي تحبها الكاميرا. أتمنى لو كان دوري هنا هو التقاط الصور لها. ألا يوجد أحد هنا يضغط زر زووم لأراها عن قرب.

أين صاحب هذه الكاميرا المهملة،الذي لا يكف عن تحذير الجميع من الاقتراب مني، متباهياً بإمكانياتي والمبلغ المالي المحترم الذي دفعه فيّ. أين أنت، هل هذه طريقتك في التعامل مع أشياءك الثمينة!

لكن لا تعود الآن، فأخشى أن تشيح بعدستي بعيداً عن هذا الوجه الملائكي والذي يبدو عليه الارتباك.

لماذا كل هذا التوتر! لماذا ليست في صفوف المعجبين،ولا في صفوف المثقفين.

يبدوا أنها كانت تنتظر قدوم شخص ما، فقد ظهر.على ما يبدو أنه هو ذلك الشاب الوسيم.

شاب طويل كما يليق بوسامة الرجال، ذو شعر أسود كثيف وناعم،أوقف نموهعند آخر منابت شعره، كمعظم الرجال. جسد نحيف رياضي. عين ذات لون بني، ووجه ذو ملامح متناسقة يغطيه ذقن وشارب كما تفرض خطوط الموضة هذه الأيام.

يا إلهي كم أتمنى التقاط صوره للاثنين معًا. والآن هل من أحد يضغط زر الفيديو أريد تسجيل هذا الحوار.

ـإيه التأخير ده يا باسل؟

=أنا آسف والله العربية عطلت مني،حتى مستنتش السواق يجي ياخدها، وخدت أوبر وجيت.

ـطيب. معلش حصل خير.

نظر لها باسل في حنان:

=على فكره أنا اتأخرت عشر دقايق بس، ليه كل القلق ده.

ـلا أبدًا أنا بس كنت خايفة يوصل قبلك.

=متقلقيش أنا معاكي.

تجاهلت الفتاه الملائكية كلماته الحانية، ونظرت في الأرض.

فتابع يقول:

= طب انت واقفه بعيد ليه. تعالي نقرب ونشوف محمود فين.

أحسنت صنعًا أيها الباسل، اقتربوا حتى تتضح الصورة. اقتربا من الحشد، واستطاعا العثور على المدعو محمود، الذي ابتسم لرؤيتهما ثم تفحص ملابس فيروز البسيطة، من جينز واسع القدمين عليه

قميص ممتد حتى الركبه بألوان هادئه حالمة، مع وشاح بلون أبيض يكمل ملامح الملاك.ثم قال:

ـإيه يا فيروز مكنش ينفع تخالفي القواعد انهردة وتيجي بحاجة على مستوى الحدث.

أسرع باسل لصد كلماته الغير لائقة:

ـعلى فكره لبسها simple وشيك، واحنا كمان بالنهار الموضوع مش مستاهل الأفورة اللي الناس بتعملها.

أرى ابتسامة خفية على وجهها، لكنها تظاهرت باللامبالاة.

وأجاب محمود:

ـطب ياعم باسل براحة علينا، هو حلو مقلناش حاجة.

لكن بدى صوته خافتًا وسط ضجيج الناس، الذي علا فجأة معلنًا خروج الضيف من صالة المطار، والكل يجهز كاميرته، وتتسابق الفلاشات في التقاط الصور، فيما عدا هذا الأحمق الذي ابتليت به، أين هو؟!

بدأ المعجبين بالصياح، والمثقفين بالمجاملة والنِّفاق، والكاميرات بتسجيل انطباع الضيف الأول، وهو يطأ بقدميه أرض الكنانة لأول مرة.

لكنه اكتفى بابتسامة مجاملة حذرة، وظل يلتفت يميناً وشمالاً، باحثًا عن شيء ما، أو أحد ما. وأرى باسل يفعل نفس الشيء، يبحث هو أيضًا عن أحد ما. أكاد أجزم أن الاثنان يبحثان عن نفس الشخص، عن فيروز .

ومن يستحق البحث عنه في هذه الحشود سواها. لكن لمن سألتقط الصورة الآن لفيروز مع باسل، أم فيروز مع الضيف الوسيم أيضًا.ولكنه يبدو أكثر وسامة وأناقة من باسل.على كل حال فهو نجم، لابد أن يلمع، ويسحر العيونبطلّته.....فنان.....نعم تشعر أنه فنان، تمتلئ عيناه العسليتان بالإحساس والعمق. ذو بشره أفتح من بني جنسه. وجسد متناسق مفتول العضلات. يبدوا في الأربعين من عمره وأنا على يقين أنه يبدو أصغر من عمره الحقيقي. ملامح وجهه مريحة مطمئنة، يحاول التغلب على براءتها بذقن وشارب خفيفتان. شعره أسود حالك يوحي بالأصالة والتغذية الجيدة زيّنه بقصة مميزة..مع من ستبدوا فيروز أجمل؟ وهل يمكن أن يتسع الكادر للثلاثة معاً؟! من الممكن ذلك إذا حدثت إحدى معجزتين، إمّا أن نجد فيروز، أو أن يظهر هذا الأحمق صاحب الكاميرا الوحيدة عديمة الفائدة هنا، أين هو؟!

حدث الشيء الأسهل والأجمل، ظهرت فيروز.وكانت تقف خلف باسل مباشرة. يا إلهي! هل تخشى الكاميرات كهؤلاء الناس

الذين أستمع إلى سخافتهم كل يوم. فمنهم من يقول لا أحب التصوير(صوري دايمًا بتطلع وحشه).

ولمثل هؤلاء أقول (والكاميرا هتجيب منين لامؤاخذة) فما هي إلا انعكاس لملامحك الشخصيه ما ذنبها في ذلك!

ومنهم من يُعلي من شأني حقًا عندما يبالغ ويقول (للكاميرا هيبة)، أشكركم جزيلاً لكن لا داعي للمبالغه. فما أنا إلا عاكس ضوئي، يعكس إحساسك، أفكارك، أحزانك، أفراحك. يجمد لك لحظه من عمرك، تترك لك ذكرى،تعود لها بعد سنوات..... فتتحرك آلاف المشاهد والمشاعر في عقلك وقلبك. تترك لك ذكرى، وتتركك أنت ذكرى، تزين بالشريط الأسود في يوم من الأيام .....هذا كل شيء....فلم الرهبة مني !!!

ولم القلق يا فيروز وماذا تفعلين خلف باسل!

سألها باسل نيابة عني، وهو يلتفت خلفه ليجدها أخيرًا:

ـمعقول يا فيروز! بتعملي إيه؟!

=الموقف طلع أكبر مني. أناخايفه.

ـطب تعالي.لازم يشوفنا واثقين في نفسنا،وأنا متأكد إنه هياخد انطباع كويس، أول ما بس.... ما يشوفك إنت.

لم تعلق على كلامه، كأنها تخشى أن يكون ذلك غزل، وأي تعليق منها سيكون إشارة منها له بالاستمرار.

بخطى مرتجفة تمشي فيروز بجوار باسل متجهين نحو الضيف. اقترب الثلاثه من الدخول في كدر واحد هل سألتقط صوره الآن؟ أم سأبقى قطعة جماد لا روح فيها. سئمت من تكرارها، أين ذلك الأحمق؟ أين هو؟!

ماذا الآن هل هناك أسوأ مما أنا فيه؟، نعم هناك. هناك طفل عابث يقترب مني. آه لو رأيتك أيها الأحمق،الذي تركتني عرضة لعبث الصغار، لحرقتك بفلاشي وقطعت عنك شحني عندما تريد التقاط سلفي لحظة غروب ساحرة فلا تستطيع. ما تبقى لي إلا أن أكون لعبة سخيفة بين يدي طفل.لكن ربما يكون هذا الطفل، طفل عصري ذكي، سأحاول الوثوق بك، فأطفال اليوم ليسوا كأطفال الأمس. أنتم تعرفون الكثير عن التكنولوجيا، أنتم حقا تعرفون أكثر من اللازم.هيا يا طفلي الصغير، سجل هذه اللقطة التاريخية.

أمسكني الطفل بطريقة صحيحة حقًا. وها هو يسجل:

باسل:Welcome to Egypt

وضم كفيه معًا وأحنى رأسه مُرحبًا بالهندية:

Namaste

وعرّفه بنفسه، وأنه زميل فيروز فقاطعه المخرج في حده: أين هي يا ترى؟

فيروز !حقًا ! إلى هنا أحد يدعى فيروز دعاني أعتقد أنها الشخص الذي.أين هي يا ترى؟

ارتبك باسل وهو يرى غضب الضيف من مستضيفه، والذي لم يكن في استقباله.فاعتذر منه وقدّم إليه فيروز، بعد أن تراجع خطوات، ليجعلها في المقدمة.

اقتربت فيروز، نظرت إليه..... وهنا حتمًا سأضيف بعض الموسيقى في المونتاج. كما سألتقط صورة منفصلة، تسجل لغة العيون، فهي تقول الكثير.. فيبدو أن الضيف خفّ من حدته عندما رآها. كأنه لم يتوقع أن يراها، أو لأكون أكثر دقة، أن يراها بهذا الجمال. كما أنه استطاع أن يطمئن نفسه، فكان قرار القدوم قرارًا صحيحاً ويستحق المجازفة. فلن يعود في الطائرة المقبلة، وربما لن يعود إلى بلده أبدًا.

بدى الإعجاب في عينيه.....أما فيروز فسأسجل في عينيها البراءة والأمل في أن تسير الأمور على ما يرام.تحاول تثبيت نظراتها المرتعشة، كرعشة يديها وتوهانها وهي تبحث عن الطريق ليده الممدوده للسلام. وصلت اليد في سلام، للسلام.

واستقرت نظراتها لوهله على وجهه، واستطاعت نطق بعض الكلمات أخيرًا:

ثم أسرعت بالانسحاب. فسحبت يدها من يده، وعادت نظراتها للتيهه على وجهه حتى استقرت في النظر على الأرض.

رحب بها بعبارات إنجليزية تقليدية، سعدّتُ بلقاءك.....لكنه تابع، أكثر مما توقعت.

ولم يكن سيسحب يده من ضمة يدها أبدًا، ولا ينقذ نظراته الغارقه في عينيها. إلا أنه انتبه لأصوات هتافات المعجبين، واقتراب الصحفيين منه، بأسئلتهم المتناثرة في الهواء والتي تتسابق للوصول الى إجابة. فأجاب إجابات المشاهير المقتضبة. ثم وصل لأذنيه سؤال عابر، ما هو برنامجك في مصر؟ وهل هناك أعمال سينمائية مشتركة بين السينما المصرية والهندية؟

هنا نظر إلى فيروز. كأنما يريد أن يسألها هي. أو يستلهم منها الإجابة.لمَ جاء؟ وما هو برنامجه في مصر؟ وفي صحبة من سيمكث سبعة أيام؟ وهل سيكون هناك أعمال مشتركه، بين مخرج هندوسي وفتاة مسلمة؟!!

رد أ.محمود بدلاً عنه، بأنه سيكون هناك احتفال ليلاً سيجيب فيه على كل الأسئلة. وشكر الجميع، وتقدم بخطى سريعة بالمخرج، وفيروز وباسل خلفهما، حتى ابتعدوا عن الجموع المتطفلة.....

ما هذا أيها الطفل العبقري فقد سجلت فيديو احترافي.خسارة في صاحب هذه الكاميرا أن يمتلكه. فلا أدري لماذا جاء بي إلى هنا،إذا لم يكن مهتمًا بالحدث؟!

أُخبرك شيئا؟ سأهبك نفسي. فلتمتلك أنت هذه الكاميرا الاحترافية. فحان وقت وضع الطفل المناسب في المكان المناسب.

اقتربَ بي طفلي الصغير، ومالكي الجديد،إلى سيارة أ.محمود، حيث التفوا جميعًا حولها. وبدأوا النقاش الحضاري بين البلدين، حينما ودّع روهان الجميع قبل ركوبه السيارة، قائلاً لفيروز أراك ليلاً في الحفل.

لكن أبت فيروز أن ينتهي المشهد الأول بهذا الرقي ودون إثارة بعد الصراعات.

فقالتها ببساطه:

_الحقيقه أنا آسفه مش هقدر آجي.أصلي مينفعش أبقى بره البيت بعد الساعه ٨. ترجم يا باسل.

ذُهِل باسل من كلامها وصاح بها:

_ اترجم إيه؟ انت بتقولي إيه؟! لازم تحضري طبعًا.

فشعر روهان بأن هناك خطب ما فقال:

?Kya hwa

?sorry, what's wrong

حاول باسل أن يشرح له الأمر، فغضب روهان من جديد:

Atcha

فلم تمهله فيروز حتى أن يكمل التعبير عن غضبه:

ـ تاني اتشا، تاني.لا مهو لازم نبقى صرحا كده من الأول. سهر، وحفلات ألوان، ورقص هندي، مليش أنا في الجو ده.

فردّ روهان عليها تحدثها بلغتها، أن تتحدث بلغته، متمتمًا بكلمات هندية أشبه بالتعويذة السحرية.

وقف باسل في المنتصف بينهما محاولاً صد بعض كلمات فيروز المتلاحقة، قبل أن تصل إلى روهان. ومتفاديًا كلمات أخرى قادمة من روهان، مفسحًا لها المجال لتُقذفْ في وجه فيروز. تبادل الاثنان قذف الكلمات، كلاً بلغته الأم،مستعينًا بها للتعبير عن الغضب بأريحية، حتى صرخ باسل في فيروز:

بس اهدي شويه. اتكلم أني لغه أنا دلوقتي؟!. إحنا اتفقنا على إنجلش.

كفاية يا فيروز ده مش أسلوب.

ثم استسمح الضيف الهندي في أن يهدأ.

وظل يتنقل بين العربية والإنجليزية حتى يحكم السيطرة على صراع الحضارات المتقد. وحاول أن يشرح لروهان، تقاليد فيروز في عدم الخروج بمفردها ليلاً، وهذا ما أثار سخرية روهان منها ومن دينها. فقاطعته فيروز:

ـلا معلش مسمحلكش لازم تحترم معتقداتي. وبعدين حضرتك جي من الهند مش من أمريكا يعني. مفروض عارف يعني إيه احترام معتقدات. بس طبعًا الوسط الفني مأثرعليكم.

وصرخ فيها باسل من جديد:

امسكي نفسك شويه. إنت مقلتليش إني جي أفض خناقات.

تملك باسل زمام الأمور أخيرًا. واستطاع إقناع روهان بالذهاب للفندق للراحه الآن، لنرى ماذا سيحدث ليلاً.

واطمأنّ أن أ.محمود سيركب معه ويتولى أمر تهدئته.

نظر باسل لفيروز فور مغادرة الضيف وهو لا يصدق ما فعلت، وقال محاولاً السيطرة على أعصابه:

ـ يلا يا فيروز السواق جاب العربية وسابهالي، تعالي أوصلك.

ـلا أنا هركب أوبر.

ـاعتبريني أوبر يا ستي.

ـلا معلش أنا هرتاح كده.

ـطب ممكن أركب معاكي، واعتبريني يا ستي زبون راكب. هركب قدام وانت ورا، المسافة طويلة مينفعش أسيبك تروحي لوحدك.

ـطب وعر بيتك.

قال باسل وهو يجز على أسنانه:

ـهكلم السواق يجي ياخدها تاني.

أنهى مالكي الجديد تسجيل الفيديو. وبدأت تضعف الرؤيا أمامي، لا أعرف بسبب ركوب فيروز وباسل سيارة أوبر، وابتعادهم بها.أم بسبب اقتراب شحني من النفاذ.

على كل حال أشعر برغبه في ترديدها للمرة الأخيرة، أين هو ذلك الأحمق؟؟.....فكابل الشاحن معه.

.....

***

الفصل الثامن

عقل فيروز

جلست فيروز في المقعد الخلفي. ولا يبدو عليها من الخارج الحروب التي تحدث هنا يا سادة في داخلي،أنا عقل فيروز..... المبتلى بهذا الكائن الذي لا يكف عن التفكير،وعن محاولة استغلالي أسوأ استغلال، وكأنها تريد أن تستفيد مني قبل انتهاء فترة الضمان، ولا تعلم أنه لا ضامن لاستمراري معها وهي تستخدمني بهذه الطريقه. ستتلف خلاياي بالتأكيد، سيطير آخر برج أمتلكه، لكن على كل حال أنا مسخر لديك استخدميني كما شئت، وتحملي العواقب.

تتمتم فيروز بداخلي الآن:

ده حلم ولا علم، ده أسوأ كابوس عيشته في حياتي.

أنا جيه المطار أستقبل مخرج هندي عايزني أسهر معاه بالليل، واستضيفه أسبوع في مصرعلى شرفي.

شرفي! قصدي يعني زي ما بيقولوها كده.

أنا دونا عن كل المصريين. وده بس عشان شوية ايميلات متهورة، ساب بلده وأشغاله وجه.هو بيستهبل! ده أنا لو كتبتها في رواية، كان اتقال إني بصطنع أحداث عشان أقابل البطل بالبطلة، لا ده كان اتقال عليه فيلم هندي من الآخر.

طب خلينا في الأمر الواقع،هعمل إيه معاه في أسبوع؟ هفرجه معالم القاهرة الكبرى، ولا أخلاق الناس العظمى. هتناقش معاه نظري يعني، ولا لازم أوريله عملي، ولا إحنا هنتناقش في قصتي وبس.

طب والأهم بقى، هقول إيه لماما وحسن؟ هقولهم رايحه أقابل واحد مش بس غريب عني، ده غريب عن البلد كلها، معرفش بيفكر إزاي، وناوي على إيه.

بس يا فيروز مصر كلها عرفت إنه جه، لو حصلي حاجه هيتعرف إن هو السبب، ودمي مش هيروح هدر.أه مهو ممكن يكون ناوي ينفذ عملية إرهابية، وأنا الضحية. وكده يبقى في سبب منطقي يخليه يجي لحد هنا. وتبقى الرِّواية مفهاش أي أفورة.

أده أنا إيه اللي دخلني فيلم الأكشن ده. ارحمني يارب من عقلي.

(وما ذنبي أنا ؟ أنا من يحق له أن يقول يا مصبر العقل على فيروز)

وبعدين أنا قلقانه ليه؟ أنا مش لوحدي، كويس إني خدت باسل معايا.

(لكن ورود اسم باسل لم يكن هو المهدئ المناسب، بل كان سبب بلوغ التفكير ذروته).

ـباسل! باسل مين ده؟! على أساس إنه المحرم بتاعي، ولا حتى كنت أعرفه من قبل كده.

يعني أقول لماما،أنا خارجه مع مخرج هندي، بس متقلقيش معايا باسل، تقولي مين باسل ده، أقولها، ده....ده... شاب وسيم،

(وهنا هدأت نبرة فيروز في الحديث، وتحدثت لبضع ثواني كباقي الفتيات)

شكله محترمو....وبحس ب.....

(وانتهت الثواني)

بس هو مين، أعرف عنه إيه؟!

(وهنا لم تشعر بنفسها وهي ترفع صوتها، موجهة السؤال لباسل)

ـإنت مين أصلاً؟!

فالتفت إليها باسل مفزوعًا:

ـنعم!إنت بتكلميني أنا!!

ـها. لا لا مفيش حاجة.

(وهنا كان لابد من إلقاء نظرة على ما يدور في عقل باسل، بعد هذه الكلمات المربكة. فننتقل إلى عقله، الذي سيضطر لزيادة ساعات عمله الفترة القادمة، مادام سيتعامل مع فيروز.

عاد باسل للنظر أمامه، وهو ينظر إليها عبر المرآة الجانبية للسيارة في اندهاش وحيرة.

ـهو أنا وقعت في مجنونة! هي وصلت إنها تطلع فجأة بجمل مبهمة. بس أنا حاسس إنها قاصدة السؤال، وقصداني بيه فعلا.

أكيد هي خايفه جدًا زي ما شفت في عينيها أول مرة.

معاك حق يا فيروز. بس متخافيش مني، مش كل الرجالة وحشين، قصدي مش كلهم وحشين أوي يعني.

أنا مش هأذيكي، بس هقولهالك إزاي؟ إنت مش بتدي فرصة لحد يكلمك، ولا يفهمك حاجة. مفيش غير إني أسيب الأيام هي اللي تثبتلك، بس يا خوفي لا متشفيش غير كذبي عليكي. ياريت الأيام متكنش قاسية أوي كده.

(لن أستطيع الاستماع أكثر من ذلك لعقل باسل، ففيروز تلح في استدعائي من جديد، بعدما حاولت أن أجعلها تغفل قليلاً)

إنت مين يا باسل وليه أثق فيك؟

وليه بورط نفسي في المشاكل؟

أنا إنسانه عاديه مينفعش أبقى بطلة روايات، ولا عايزه أكون.

أنا بس عايزه أوصل رسالتي للعالم، والناس كلها تعرف. كلهاماعدا، ماما وحسن .....

(فيروز الطريق طويل، وانت بدأتي بالتخريف، خذي قسطًا من الراحة، رحمة بخلاياي المنهكة....لكنها لا تستجيب بهذه البساطة، فأكملت:

فيروز بصي للجانب المشرق، برده إنت قربتي من تحقيق حلمك خلاص، قصتك هتطلع للنور، وابقيارجعي بعدها في الظل براحتك ..

آآآه مش عارفه ليه عايزه أنام.

(الحمد لله مازلت أنا المسيطر هنا، واستجاب جسدك لإشاراتي. نامي يا فيروز، نوم الظالم ...)

ـ بس يا ترى روهان شايفني إزاي وبيفكر في إيه دلوقتي؟

(أمازلت هنا؟، نامي الآن حتى أتعلم اللغه الهندية من أجل أن أترجم لك أفكاره)

.....

انتهت الرحلة على خير. ودّعها باسل.وظل يتأملها بنظراته، وهي تترجل من السيارة، وحتى اختفت عن نظره، داخل فناء العمارة.أمَّا فيروز فصعدت إلى بيتها ومنه إلى غرفتها، وهي شاردة لم تلتفت خلفها لتودعه ولم تنظر أمامها لترد السلام على والدتها. أسرعت إلى فراشها، الذي يحتضن ألمها، ويخفف من حملها، ويمنحه الفرصة كاملة للسهر بالساعات، والتعبير عما تخفيه دومًا عن الجميع، هنا فقط تكون حالمة رقيقة، على سجيتها، تبكي وتضحك. تبكي مما حدث لها في يومها وحبست دموعها وقتها من النزول. فتبدأ العبرات المؤجلة بالهطول وتضحك مما نال إعجابها وتصنّعت اللامبالاة حينها.

كما تضع بجواره دائمًا مجموعة طائلة من الأوراق والأقلام، لتكتب وتكتب. وتُجبر الأوراق على أن تحمل أسرارها ومشاعرها

فسريرها هذا، هوعدوي اللدود، يحرمني النوم ويجهد خلاياي، ويفقدني صوابي. لكن ماذا سيفيدني نومها؟ فحين تنام، يستيقظ أخي الغامض،العقل الباطن. ويستعيد ذكرياته، ويجسد مخاوفه، ويتخيل مستقبله المبهر، كل هذا في أحلامها. فلا راحة لي في يقظتها، ولا في نومها.

أما عدوي الثاني هو هاتفها، الذي لا أخفي أني أغار منه قليلا، فهو يلازمها أينما ذهبت. كما أنه يليق حقا بها.فهو مميز مثلها وذكي كما يدعون.فلا هو سامسونج، هاتف العامة. ولا آيفون الذي يدعي أنه للصفوة. تعشق فيروز هاتف الhtc .تعشقه هي، وأبغضه أنا. فهو السبب الثاني في سهر فيروز، يمتلئ بالعديد من تطبيقات المهام والخطط، والتي عليّ أنا أن أنفذها، وأجد مساحة من الوقت لها جميعًا.

كما أنها بعد أن تنتهي من الكتابة على الأوراق، تتجه إلى أزراره لتكمل عليها. فبالنسبة لها كل أداة ولها استخدامها، وما يوحيه لها القلم يختلف عما يوحيه لها الكيبورد. وتستمتع بتنوع الكتابات التي تخرج نتاج ذلك المزيج.كما أن السبب الأقوى لاتخاذه عدوًا، أني أشعر به يقرأ أفكاري، ويتحدث معي أحيانًا....أستمع إلى لغته الفرانكو. وحينها أشك في أني أُصبت بالحمى من إجهادي الشديد.....

وبعد أن تلحظ فيروز إجهادي أخيرًا، تستخدمه فيما صنع من أجله فتجري اتصالاتها الهاتفية الموجه جميعها لسارة. تتحدث إليها، لتخبرها بأي تحديث ليومياتها، كما تفعل الآن:

أتاها السؤال من سارة:

ـحلو يا فيروز؟

=الصراحة آه، هكذب عليك مش ممثل. لازم يبقى حلو. ساعات بحتار هما كل اللي بيعرفوا يمثلوا حلوين ولا هما اللي يختاروا الحلوين وبعدين يعلموهم مهارات التمثيل.

وفي الحالتين قصدهم يعقدونا ويكرهونا في أي راجل عادي يدخل حياتنا

ـههههه حتى دي بتحلليها بس معاكي حق أنا أشوف الفيلم الهندي من هنا وأبقى مش طايقه طارق. ولا المسلسل التركي بخاصمه أسبوع على الحلقة الواحدة.

ثم وافتها فيروز بآخر أخبار الساعة ليوم المطار الطويل وحتى رفضها حضور الحفلة، وأعادت إثارة مخاوفها حول تجهيز برنامج لسبعة أيام كاملة. فأنهت سارة الحوار في عجالة:

ـطب ريحي شوية وإن شاء الله هتلاقي أفكار كتير .....

ياإلهي! أفكار! كفاها أفكار وتفكير.... لماذا لم تنصحها بأخذ قسط من الراحة؟.

ولم تأخذ فيروز قسطًا من الراحة ولاقدرًا من النوم. وفتحت إحدى تطبيقات أخذ الملحوظات وبدأت تكتب الخطه السباعية للأيام السبع العِجاف.

لكن أغلق هاتفها التطبيق في وجهها، لورود مكالمة جديدة من منى إعلام.

ويبدوا من الاسم، أن اسمها منى، وأنها إحدى زميلاتها من كلية إعلام.

نفخت فيروز وتأففت كعادتها قبل أن تجيب الاتصال. فهي تحمل هم المكالمات والرد عليها، وماذا عليها أن تقول، وأي كلمات لبقة عليها أن تختار...لكن في النهايه تجيب كما أجابت الآن وتلقت صوت منى مباغتاً:

ـ بصي بقى من غير مقدمات.أنا عزماكي على عيد ميلادي انهرده.

=عيدميلادك! وتعزميني في نفس اليوم؟ واشمعنى المره دي؟

ـهو انت لمّا حد يعزمك بتعملي معاه تحقيق كده، وسوري على التأخير أصل بابي عملي مفاجأة عيد ميلادي، إنه حجز قاعه وبيتحداني أقدر أملى القاعه معازيم في نفس اليوم.

=أه يعني عزماني سد خانة.

ـلا طبعًا ده إنت حبيبتي، وعشان تعرفي غلاوتك أنا هاجي أخدك معايا الساعه ٨ بعربية أخويا وهرجعك بعد ال party كمان.

=اده الأوبشن الجامد ده. كده ماما مش هيبقى لها حجة. خلاص اتفقنا أنا كمان محتاجة تغيير جو أوي.

أنهت مكالمتها مع سماع صوت والدتها تناديها. وكالعادة ستأخذ فيروز هاتفها معها.

وحين تفعل ذلك، أشعر بتلك الهلاوس وكأن الهاتف يتحدث قائلاً:

(نفسي أفهمكم يا بشر ليه سحبني وراكم في الرايحة والجية ؟

أنا ممكن أعد لوحدي عادي، مبخفش من الضلمه على فكره. أنا أصلا بطفي الشاشة واريح شوية .

مفيش داعي للأفورة دي خالص. وأبوس إيديكم بلاش الحمام. أهو ده المكان اللي بخاف منه بجد.صدقني مش أنا اللي هسهلك أمورك في الحمام ده مش ضمن اختصاصاتي خالص).

أتمنى ألا أكون وصلت مرحلة الجنون بعد. وتكون هذه مجرد خيالات.

وصلت فيروز بهاتفها إلى الصالة بسلام. وكانت والدتها بصحبة إحدى صويحباتها، يتجاذبن أطراف الحديث حتى كاد أن يتمزق بين ألسنتهن.

سارعت الأم في تقديم فيروز لضيفتها:

ـتعالي يا فيروز سلمي على طنط نادية

فبادرت السيدة نادية في الترحيب:

ـإزيك يا فيروز بتعملي إيه دلوقتي في حياتك؟

ـبكتب يا طنط، بكتب.

فأجابتها السيدة وهي تمصمص شفتيها:

ـأه يا حبيبتي تسلي وقتك برده.

ـلا يا طنط مش بتسلى. أنا بعيش الحياه اللي اخترتها، واللي ربنا خلقني عشان أعمر فيها.

ارتعبت من إجابتها فحاولت كسب نقطة في هذه الجولة:

ـوماله يا حبيبتي والجواز كمان إعمار.هنفرح بيكي إمتى بقى؟

ضحكت فيروز ضحكة ساخرة وهي تجيب:

ـاده السؤال الفاكس ده يا طنط! ده اتهرس على الفيسبوك. إنت مش متابعة ولا إيه؟

فنكزتها والدتها وهي تقول:

=طنط ناديه ملهاش في الحاجات دي. واتلمي يا فيروز.

لكن لا رادّ لكلمات فيروز المستهزأة:

ـلا لازم يا طنط تعملي .account وانت هتلاقي إجابات نموذجية لكل أسئلتك الحشرية، قصدي العشرية.

وكان نفسي أساعد بس مستعجلة عندي عيد ميلاد واحدة صاحبتي لازم أحضره. أصلي مش ضامنه أحضرلها خطوبة ولا فرح،إحنا آخرنا أعياد ميلاد اليومين دول. كل سنه وانت طيبة يا طنط.....

وقبل أن تحاصرها والدتها بوابل من الأسئلة متى وكيف وهل يعقل وهل يصح وأين هذا الميلاد التعيس، أخبرتها فيروز أن كل شيء سيتم حسب قوانين العائلة ولا اختراقات ولا تجاوزات،ماعدا التأخر قليلاً وسنعوض ذلك الخلل بتوصيل منى لها بسيارة آمنة حتى تصل للبيت سالمة. لم تجد الأم وجه اعتراض يقف أمام فيروز فوافقت على مضض.

وما إن انتهى هذا النقاش حتى جاء تنبيه رسالة جديده على الهاتف،

نظرت فيروز لأجد الرسالة إعلان عن محلات كعك وزينة أعياد الميلاد.

وهنا انتابتني من جديد الهلاوس حيث أسمع بوضوح الهاتف الذكي يقول:

أنا عارف إنه مش منطقي أبعت الرسالة دي في الوقت ده بالذات . بس أنا حبيت أوصل رساله معينة لناس معينين.... الدنيا دلوقتي اتغيرت، وبقينا في عصر التجسس، اللي انتم لسه مش مستوعبينه.فبلاش بقى تاخدني الحمام يا أذكى إخواتك.....

***

الفصل التاسع

باسل

في كل قصة حب، هناك تخبط البدايات، والعديد من التساؤلات، هل ما أشعر به هو ما تعرضه الأفلام، وتصفه الرِّوايات؟

وهناك لحظة توقن فيها أنك حقا بطل هذه القصة. أنت تحب.... بكل خلية في جسدك تحب. لحظة تتلون فيها صفحات الكونفتبدوا مبهجة. تشرق الشمس، وهي مشرقة. والليالي كلها تصبح مقمرة. تمطر السماء دموع الفرحة، والأرض الجرداء باتت خضرة، وحبيبتك تتخيلها بفستان أبيض وطرحة.....

هي لحظة، وربما ليلة كالتي عشتها اليوم، وتيقنت فيها حبي لها. تهتف باسمها أنفاسي، فيروز....فيروز.

مهلاً مهلاً. من هي يا باسل؟

يتساءل عقلي الآن، كأي عقل عاقل يريد مصلحة صاحبه.

لكن تعرف صديقي، أن لا مكان لك في حسابات القلب. تظل أنت تعقل الأمور وتخطط، من يجب أن أختار، وأي مواصفات عليَّ البحث عنها. ويترك لك القلب،الرزين قليل الكلام، الحرية كاملة لتفعل ما تشاء، وتشعر أنك أنت المسيطر. ثم فجأة. وبدقة واحدة من دقاته، يضرب بكل نظرياتك عرض الحائط. ويشعل الجسد كله شوقاً. ويغدر بك، ويسحب كامل الصلاحيات منك، مسلِّمًا مفتاحه لمن قرر أن يكون حبيبه.وعليّ أنا وأنت أن نحب من يحب، دون أسباب منطقية. ونكره من يكره دون أن يسبب لنا أي أذية.فلتقل ما تشاء الآن، قل لي : فيروز! فيروز يا باسل! إنها ليست مسلمة فقط، بل محجبة!!.....لن تجد صدى لصوتك.

واستمر. قل أنها أكبر مني، قل إنها من طبقة متوسطة الحال وعائلة متشددة متطرفة وربما إرهابية.

قل ماتشاء.

لكن لا تقل أنها لا تبادلني نفس المشاعر. لا تقل أنها سترفض حبي لرفضها أفكاري. لا تقل أنها ستضع دينها في كفة وحبي في كفة.

لا لا أريد أن أفكر في ذلك. لن تنال مني ياعقلي بهذه الهواجس.

سأتبع قلبي للنهاية. لن أفسد جمال الليلة. فالليلة عشت لحظة اليقين.....

أسرعتُ وهاتفتُ صديقي مصطفى، وتهافتُّ أن أقص عليه ما حدث:

ـمش هيجيلي نوم قبل ما أحكيلك عن الليلادي يا مصطفى، كانت ليلة من ألف ليلة وليلة، خصوصًا إني شفت فيها شهرزاد.

ركز بقى وخليك معايا، عايز أحكي للصبح.

نزلت شهرزاد، قصدي فيروز، سلالم العمارةبجريه خفيفه كأنها طايرة على السلالم مش نازلة عليها. كانت في لوك ناعم وبسيط زي مابتبهرني دايمًا بذوقها. تحس إنها كانت لازم تتشال من على الأرض شيل، كان لازم تبقى طايرة فعلاً، بس من حسن حظي إنها ماشيةعلى الأرض وجيه ناحية عربيتي.

منى كانت جنبي زي ماخططنا،

شاورتلها منى، وأنا داريت وشي في الدركسيون.ركبت فيروز العربية وقعدت ورايّا، وقالت ببراءة:

ـسلام عليكم

كل سنه وانت طيبة يا منى.حيرتيني في اللبس قعدت اختار في الفساتين لحد ما .....

سكتت فجأة.... أكيد لاحظت ارتباك منى، وحسّت إني نفس الشخص اللي كان قاعد قدامها الصبح في أوبر. فقلت من غير ما أرفع راسي:

ـلحد ما اخترتي أحلى فستان.

=اده باسل! إزاي!

منى هو باسل أخوكي؟!

سكتت منى. وأخدت فيروز لحظات صمت كده تستوعب:

ـإيه ده انتو كده بجد! مفيش عيد ميلاد صح؟ ودي اشتغاله عشان أروح الحفلة!!

قلتلها:

برافوعليكي ما انت فهمتي كل حاجة أهو. عايزانا نقولك إيه.

صرختْ في وشي بأعلى صوتها:

ـملكش دعوه إنت، أنا بكلم منى.

حاولتْ منى تشرح موقفها:

ـفيروز بجد أنا آسفه أوي.بس أنا معملتش كده إلا لما عرفت إن مشكلتك في مامتك.

ـإنت مالك مشكلتي إيه. أنا أدرى بمشاكلي وحياتي.

حاولت أهديها:

ـفيروز اسمعيني، منى ملهاش علاقه، أنا السبب.

ـأنا ميهمنيش أسمعك أصلاً.

وكانت هتنزل من العربيه، قفلت اللوك ومشيت بسرعة.

طبعًا كأني حطيت البنزين على النار. قالت بجنون:

ـإنت اتجننت ده خطف بقى، نزلني بسرعة، نزلني بقولك.

فقررت أعمل زي أي راجل مصري أصيل:

ـوأنا مش هقف ولا هسمعك إلا لما تهدي شوية.

ـنزلني. أنا غلطانه إني وثقت فيك.

محستش بنفسي إلا وأنا بفرمل جامد، بصتلها بحدة واتعصبت عليها بكل ما أملك من أعصاب.

أصلي مستحملتش، مستحملتش إنها تفقد الثقة فيه.

فيروز أنا مش بخدعك ولا عايز حاجة منك. إنت لو اديتي فرصة لحد يتناقش معاكي كنت اتكلمت معاكي. لكن إنت مش بتدي وش لحد. ده إنت مدياني الإيميل يا شيخة هو في كده!!ومش قادره حتى تفهمي،إن همهم تستقبلي الراجل اللي جي على حسك ....

احنا هنروح الحفله وهرجعك زي ما منى وعدتك. وتاني مرة لما تبقي تبعتي لحد مهم تبقي أد المسؤوليه. يا إما خليكي في بيتك اكتبي روايات إسلامية مع نفسك....

أنا هتحرك دلوقتي بالعربية ومش هقف غير قدام الفندق والساعه ١١ بالدقيقه هتبقي في بيتك ....

سكّتْ شغلت العربية،طلعت عصبيتي في دواسة البنزين وطرت.

مش عارف قلت كده إزاي. بس ارتحت، ومسمعتش لفيروز صوت بعدها. توقعت إنها هتثور ثورة مضادة على ثورتي. لكن واضح إنها استسلمت تمامًا.

حاولت أشوف عنيها من مراية العربية، شفتها، قاعدة في هدوء بدون أي ردفعل واضح. لكن شفت في عنيها راحة، حاسس إنها ارتاحت إنها لقت حد يسيطرعلى أفكارها، ونوبات غضبها. ويساعدها تاخد قرارات بتتردد فيها كتير.

.....

وأول ما وصلنا ووقفت بالعربية، نِزلتْ بسرعة وسابت باب العربية مفتوح، ودخلت الأوتيل. بيني وبينك، تسيبه مفتوح أحسن ما كانت هبدته.

إنت معايا يا مصطفى؟

جاء صوت مصطفى ناعساً:

=ها. آه معاك طبعًا، كمل كمل.

فتابعت:

ـوعشان الليلة تكمل، جت مكالمة لمنى من مامتها، باباها تعب ولازم ترجع حالاً.

وكده كملت يا معلم. كده فيروز هتفهم وش إن أنا الذئب البشري اللي خطط لكل ده.

ولسه بحاول أفكر هعمل إيه. سمعت صوت الخناقة من جوه.

طبعًا قلت لنفسي:

ـإنت لحقتي يا فيروز.

دخلت بسرعة، وكانت فيروز فعلاً بطلة الأحداث، نازل عليها كلمة واحدة:

Don't touch me

Don't touch me

وقدامها روهان واقف في ذهول، رافع إيده في الهوا، بيحاول يثبت أنه مقربش منها. وعمال يشتم بالإنجليش والهندي.

ـخير يارب هو فيه ذئاب بشرية غيري هنا.

أول ما شافني روهان، استنجد بيّه، وشرح لي إنه كل اللي حصل، إنه سلم عليها بس، عشان يحاول يلطف الدنيا بعد اللي حصل الصبح.

ـأه أنا كده فهمت. ووقعتك سودا مع فيروز طبعًا.

?kya=

- كيا،يعني ماذا تقول .من كتر ما بنتكلم عربي قدامه ويرد علينا بيها، حفظتها.

- فجاء صوت مصطفى غير متحمس كحماسي ولا متلهف لإكمال الأحداث كلهفتي.

- ما تخلص يا باسل وبعدين انجز عشان عايز أنام. فتابعت خشية أن أفقد فرصة الحديث عن فيروز.

اوكاوك، المهم حاولت أشرحله سوء التفاهم اللي حصل، وإن فيروز بتتكسف، وطريقة سلام الأحضان دي متنفعش معاها.

لكن واضح إن فيروز فهمت كلامي، ومعجبهاش:

ـإيه اللي إنت بتقوله ده؟ ممكن تقوله إن في ديننا لازم نحفظ حدود في التعامل. ولا يجوز لرجل دون المحارم أن يمس امرأة غريبة عنه. وإن هو مش من المحارم.

ـإنت متأكدة إنك عايزاني أقوله كده؟

ـأيوه طبعًا

ـحتى المحارم؟!

ـبقولك أيوه.

ولسه بحاول أشرحله حوار المحارم ده، لقينا واحدة معجبة جريت عليه تقوله ممكن أبوسك.....

بصلي روهان الحقيقه في استنكار، وقالي هي دي من المحارم؟!

نبيه ما شاء الله عليه وفهم معناها بسرعة.

بصيت لفيروز:

ـقلتلك يا فيروز، بلاش موضوع المحارم ده، مش من أول يوم.

بصت فيروز في عدم اهتمام وادتني ظهرها، ومشيت..... واتجمع المصورين والصحفيين حوالين روهان، معتذرين عن اللي حصل. واختفت فيروز وسط الزحمة.

حسيت بالضياع أول ما اختفت.لا متسبنيش تايه يا فيروز خليكي قدامي.

.....

.....

ـومش خايفه هنا من أي ذئب بشري يبقى معدي.

قلتهالها أول ما لقيتها واقفة بره الفندق.

محاولتش تبصلي ولا تعبرني. ودخلت تاني الفندق وأنا وراها.

طلعت على سلم بره القاعة، اللي فيها الحفلة وقعدت عليه،وشكلها محبط ويائس. ضمت ركبتها لجسمها، وخبت وشها بين إيديها. اتسحبت أنا وقعدت جنبها على بعد مسافه كافيه تفادياً لأي أسلحه طايرة، وقلت:

ـأنا آسف.

رفعت راسها مخضوضة، والدموع مغرقاه.

امتى بدأت تبكي؟ وازاي بكت في صمت.

ـلا أرجوكي دموع لا.

ردت بألم، حسيت أنا بوجعه في قلبي:

=واحد قالي خليكي أد المسؤوليه.. هو كان معاه حق.أنا أحلامي أكبر مني، أفكاري كلها بتوديني في داهيه.....

سكتت.

وأنا في ذهول مش مصدق،هي بتكلمني أنا؟ بتفضفضلي! طب أدي الأمان يعني، ولا فجأة هتتحول. طب أعمل إيه؟ أواسيها، أكلمها، ولا أخدها في حضني وأخبيها من عالم واسع عليها.

وقبل ما آخد أي رد فعل، كملتْ وهي باصة قدامها:

ـبكره ضعفي، بكره شخصيتي، بكره عصبيتي، بكره .....

وفجأه سكتت.

هي سكتت ليه، لا مش معقول هدنة السلام خلصت بالسرعه دي.

واضح إنها خدت بالها إنها بتكلمني. وواضح إنها خدت بالها أكتر إنها موزنتش الكلام المره دي خالص.

قامت وقفت فجأة. وبصتلي لأول مره من ساعة ماقعدنا، وقالت بانكسار:

ـأنا كنت عارفه إني لو جيت، هغلط.

وبدأت تنزل السلم.

حاولت أقول أي حاجه أوقفها بيها:

ـ على فكره إنت صح.

ونجحت.

بطّأتْ حركتها في النزول، فنزلت بسرعة سبقتها ووقفت قدامها:

ـوعلى فكره كمان اللي قالك كده حمار.

وأخيرًا نجحت في استخراج ابتسامة على شفايفها، كأني بالظبط باستخرج فحم من باطن الأرض.

وكملت:

ـإحنا كلنا بنغلط وبنتعلم. إنت بتعملي عمل عظيم، بس الطريق فيه شوية مطبات،عادي هنعديها، مدام معانا ٤*٤.

زادت ابتسامتها أو أقدر أقول ظهرت أخيرًا.

قلت أخدها في حموتها:

ـوبمناسبة العربية أنا ممكن أروحك دلوقتي. الحفلة طلعت سيس أوي. ده كويس إن منى محضرتش.

واختفت.

أكيد اختفت ابتسامتها أول ما قلت كده.....وبدأت عنيها تتغير.

بس أنا عرفت الطريقة خلاص.

وقفت في حزم، ورفعت صوتي:

ـبصي أنا عارف إنك مش هتصدقيني. بس منى جالها تليفون من مامتها، باباها تعب فجأة واضطرت تروّح.

=المفروض إني أصدق؟!

ـقضاء وقدر هنعمل إيه يعني.

دلوقتي اعتبريني تاكسي هوصلك، وهتروحي بدري أهو يا ستي.

لكن مش فيروز اللي تستسلم كل مرة.

=لا أنا هركب أوبر.

ـطب خلاص هركب معاكي، واعتبريني زبون.

=وعربيتك؟

ـهبعت السواق ياخدها.

مش عارف سمعت الحوار ده فين قبل كده؟ اتفضلي، الصبر يارب.

بس يا سيدي إيه رأيك،

مصطفى مصطفى، إنت معايا ؟!

لم ينتقل إلى أُذني غير ذبذبات صوت شخيره....

ـهو أنا يعني عشان قلتلك هحكيلك ليلة من ألف ليلة وليلة، تنام وأنا بحكي

.....

مازال لديّ الكثير لأرويه. وأروي به ظمأ قلبي المتلهف للحديث عن فيروز. وعن مشاعره نحوها.

يُلحُّ عليّ قلبي في استرجاع كل لحظة،رأيتها فيها، وتحدثت إليها، واستمعت لها. وكل لحظة صمت، شعر فيها بأنفاسها، واستمع لدقات قلبها،وتأمل جمالها.

ثم أفسد عليّ أنا وقلبي سمرنا، صوت مصطفى. فمن الواضح أني نسيت أن أُغلق خط الاتصال بيني وبينه، فقال:

=ها يا باسل، كمل كمل أنا معاك.

ابتسمتُ مشفقاً عليه. فإن قلبه مازال في مرحلة السكون، وينتظر لحظته الخاصة به في صمت.فلم يعط الأمر بعد لعقله أن يتنحى، ولا لعينه ألا تنام.

أجبته:

لا خلاص نام دلوقتي. وبكره أحكيلك قصة جديدة من قصص شهرزاد العصر، فيروز.

.....

***

الفصل العاشر

اليوم الأول

أخيرًا سينطق الزمان، أخيرًا سأنال هذه الفرصة العظيمة، لأهجوكم كما تفعلون. أخيرًا سأتحدث إليكم.وللعلم، إن الأيام تتحدث بالفعل كل يوم، ولكنكم لا تفقهون.

نحن الأيام، نقول جملة واحدة كل يوم، يُعلّمها كل منا لليوم الذي يليه، قبل أن يرحل.فكل يوم يعرف جيدًا، متى يحيا ومتى يموت، وماذا عليه أن يفعل.

هذا هو الزمن الذي تلعنوه، يعرف مهمته وينفذها على أكمل وجه، لكن، ماذا عنكم أيها البشر؟هل حقا تعرفون؟!

أم تضيّعون أيامكم، وأنتم تلعنون وتتأففون، كما قال شاعركم:

صغيرًا يشـتهي الكِبر وشيخ ودّ لو صَغُر

ورَبٌّ مـال في تعـبٍ وفي تعـبٍ من افتقر

وخالٍ يبتغي عملاً وذو عملٍ به ضجرا

ويشـقى المرء منهزمًـا ولا يرتاح منتصرا

أم مازلتم تائهون في دائرة، ماأكثر من يضيعون الوقت في جمع المال، ثم يضيعون المال في قتل الوقت!!

اعذروني، فأنا مهتم بالشعر كثيرًا. وكيف لا، وهو لا يكف عن الحديث عنا، وصفاً تارة، وهجاءً تارة أخرى.

لا تقلقوا، فلن أطيل عليكم. فوقتي في الحياه، هو ٢٤ ساعة فقط. وهناك خبر سيء، وخبر جيد بهذا الصدد.

الخبر الجيد، أنكم سترتاحون من هجائي قريبًا. أما السيء، فإني حين أرحل، آخذ يوم من عمركم معي، ولا أرده لكم أبدًا.

وحتى تلك اللحظه، فسأقوم بمهمتي على أكمل وجه. سأردد جملتي، سمعها من سمعها، ووعاها من وعاها، وأعرض عنها من أعرض.

(أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد. فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة)

هكذا أوصاني يوم أمس، قبل أن يلقى حتفه. وحذرني أنه ربما لا يستمع الناس، ربما لا يفهمون، لا يعقلون، فاثبت، ولا تلتفت إليهم، وتذكر أن توصي اليوم التالي بهذه الوصية.

بدأت أردد جملتي، وأرى ردود أفعال الناس كما وصفها لي يوم أمس العزيز بدقة.أرى عبوسهم مع بداية شروق شمسي.

عجبًا!!

أليس لهم مع شروق الشمس حلم وتباشير؟!

ألم يلحظ أحد، أن الشمس لولا جبينها الوضاء،لاختنق الضياء.

ولولا قبلةً للكون منحتها، لبات في طي الخفاء.

ولو توانت عن نهوض الصبح، لأصابنا سهم الشقاء.

أو أشرقت من ذات غرب، فتلك أولى أطوار الفناء.

فرحماك رحماك ربي في يوم اللقاء.....

هل تخشون الأقدار؟!

ألم تعلم أيها الإنسان، أنه إذا أتاك من الأمور مقدر، ففرت منه، فنحوه تتجه!!

أم أن مشكلتكم، أنكم لا تقرأون الشعر؟.

حسناً، وما دخلي أنا. سأركز فقط على مهمتي:

(أنا يوم جديد وعلى .....

مهلاً، ما هذا! يبدو أنّ هناك وجه مختلف، وسط هذه الوجوه العابسة. وجه انعكس عليه شروق الشمس فأشرق بنور ربه. ورغم ما أراه عليه من ترقب وتوتر، لم يعبس مثلهم. يوحي بالأمل رغم يأسه.تسير صاحبته بخطوات حازمة، سريعة، جادة، إلى هذا الفندق، الذي تلمع على وجهته خمس نجمات، في حي مصر الجديدة.

تلتقي أمامه، بشاب يدعى باسل،أنا شاهد على أعماله اليوم،وأحمل ملفه معي.بدى اللقاء بينهما جاف متصنع، حتى أنهارفضت الدخول معه إلى ردهة الفندق. واكتفت بانتظاره خارجًا، حتى خرج بأحد سكان نيودلهي الأصليين، ويدعى روهان. حيّاها روهان من أبعد مسافه ممكنه عنها.ثم صعد كل منهما سيارة باسل في صمت مطبق، متجهين كما سجل باسل على متتبع الطرق،إلى ذلك الشارع العريق، شارع المعز لدين الله الفاطمي، كما طلبت منه فيروز، صاحبة ذلك الوجه المشرق.

ـطب نفطر الأول طيب،هو ليه أنا حاسس إننا طالعين على القرافة.

قالها باسل ناظراً إلى فيروز عبر مرآة سيارته الأمامية، محاولاً قطع الصمت وتلطيف الأجواء.فنظر إليه روهان في استنكار، لتحدثه للغتهم غير المفهومة له. فاعتذر منه باسل ودعاه للإفطار، باللغة التي أجمع الجميع على اتقانها هذه الأيام. فرحب روهان بالفكره،ونظر كلا من باسل وروهان إلى فيروز منتظرين رأيها. فاكتفت بهز كتفها غير مبالية، وغير رافضة. فتوجه باسل إلى أقرب كافيه قبل أن تعترض.

توقعات باسل حالفها الحظ، فلطف الإفطار الشرقي الأجواء. ووهبهم الفول انزيمات السعادة اللازمة للقدرة على الاستمرار في الحياة على أرض مصر الحبيبة. وبلغت السعاده ذروتها بتناول ال hotchoclate لدرجة أن فيروز من بدأت الحديث،فرحبت بروهان وكأنها لم تلحظ وجوده، إلا بعد ال hotchoclate .

كما أنها اعتذرت عن شيء ما يفترض أنه حدث بالمطار، وفي حفل ما.

أومأ روهان برأسه مبتسمًا وقابلاً اعتذارها. فأشارت لباسل، أن يستعد للترجمه، فقدرتها على أن تواصل حديثها باللغة الإنجليزية تزداد صعوبة الآن، مع زيادة تعقيد الأفكار التي ترغب في التعبير عنها.

ـ احم احم. أهلاً بيك مستر روهان في مصر، مهد الحضارات ومنبع الأديان.

(وينظر إليها باسل نظرة إعجاب حانية ممزوجة بابتسامة سخرية وهو يستمع إلى كلامها الأي كلام بالنسبة له).

وهي تكمل:

ـالإسلام دين عظيم كفايه إنه دخل الهند عن طريق أخلاق التجار .....

وبدى على باسل الحماسة، وهو يبدأ مهمته الرسمية بالترجمة، لكن على طريقته الخاصه:

أهلاً بك مستر روهان على أرض مصر،مهد الحضارات ومنبع الأديان. إن الإسلام دين عظيم. دعك من أمر دخوله البلاد بقوة السلاح. فإن ذلك لم يحدث في الهند على الأقل.ودخل إليهاعلى غير عادةعن طريق أخلاق التجار.....

شعر روهان بالريبة، وهو ينقل نظراته بحيرة بين فيروز وباسل. فلامح فيروز توحي بفخرها بما تقول، بينما لايدعو ما يقوله باسل لأي فخر.

أكملتْ غفلتها عن ترجمة باسل، ولا أعلم كيف لم تلحظ ذلك؟ هل هو تركيزها في سرد أفكارها تباعًا، أم هي الثقه العمياء والحب الأعمى الذي صمّ أذنها عن زيف الترجمة، فأكملت تقول:

ـ الإسلام دين أخلاق، دين راقٍ ينظم كل أمور حياتنا، ومسبش حاجة في حياتنا إلا ونظمها وعلمنا دعاء ليها، حتى دخول الحمام.

فترجمها لها باسل كما قالتها، فهي معلومه بالنسبه له تخدم سخريته من هذا الدين.

استمع روهان في اهتمام، وهو يلتفت بنظره خارج زجاج شباك الكافيه، ليرى مشهدًا خارجيًا ينسف ما يقال فينظيره الداخلي. حيث وجد أحد المواطنين المصريين العظماء، والذي كانت أمه تخشى عليه في صغره أن تعلمه الصبر بمقولة (اصبر شويه عمال مانلاقي حمام).فكانت تستسهل الأمر، وتحمل معها كل خروجه ضحية جديده،من قارورات المياه الفارغة، حتى يلبي نداء الطبيعه فور تحركه في أحشائه. وربما كان هذا هو السبب الخفي، في عدم تحمل الرجال المسؤولية في كبرهم، حيث لم يعرفوا معنى الصبر، والثبات الانفعالي، والقدره على التحمل، كما عرفته الأنثى.

وبعيدًا عن ذكريات الطفولة البائسة. نعود لنتيجة أفعال تلك الأم المستهترة، حيث أن ابنها المصون، يقف الآن أمام أحد جدران مباني مصر العريقة، ويريح جسده من آلامه، ويزعج العالم كله بمخرجاته، والتي ربما تكون هي الأثر الوحيد الذي يتركه في هذا العالم دون أن يحاول إخفاء آثاره الآثمة ببعض الماء الطاهر...

والتقطت عينا روهان هذا المشهد المؤثر، والذي جعله ينظر في استنكار لباسل، ويشير له ليرى ما رآه. فأخفى باسل ابتسامته وهو يقول:

ـآه معلش ده نسي يقول الدعاء.

فنظرت له فيروز بحدة، وقالت بارتباك:

لا،على فكره الإسلام ينكر هذا التصرف. مفروض يستر عورته، ويتوارى عن الأنظار، وميلوثش الشارع ويأذي المارة، ومفروض كمان يكب ميه، ويبقى معاه على الأقل

.Wipes

رد باسل مذهولاً:

ـ wipes !

إنتِ مبتشوفيش الناس بتعمل إيه في الشارع.

ـخلاص يا باسل سيبك من الكلام ده. قوله يركز معايا ويحاول ميبصش حواليه.

فترجم له باسل، بتقولك دي حالة نادرة جدًا، وحادثة عارضة، لكن إحنا زي الفل ومصر بخير.

شعرت فيروز بسخريته، فقالت في غضب:

أنا بقول نمشي من هنا كفاية كده.

.....

صعدوا للسيارة نزولاً على رغبة فيروز. وانتهت انزيمات السعادة المنبعثة من الشيكولاتة، وبدأ الفول في زيادة قدرتهم على التحمل. نظراً لتوقف السياره كثيرًا، لزحمة الطرق وكثرة الإشارات، وغلق بعض الطرق وفتح باطن الأرض في طرق أخرى.

فتناوب الحوار بين أسئلة روهان الهجومية، وإجابات فيروز الدفاعية، وصولاً إلى ترجمة باسل اللولبية.

فسأل روهان ماذا عن مساواة الرجل بالمرأه في الإسلام؟. والذي ترجمه باسل بأمانة نادرة، ربما لأنه يريد أن يستمع للإجابة أيضًا.

وكانت إجابة فيروز إجابة تقليدية:

ـالإسلام كرّم المرأة، وساوى بين الجنسين في الثواب والعقاب.

صحيح في أفعال بنقبلها من الراجل، وبنقيم على المرأه الحد لو عملتها، لكن ده المجتمع مش الإسلام.

فعقب باسل في انفعال، طب والحجاب؟ مش شايفة إنه أكبر اضطهاد للمرأة؟

ثم وضح بارتباك:

ـقصدي هو، أكيد هيسألك كده.

قالت فيروز: الحجاب أكبر مساواة بين الرجل والمرأة.

فقاطعها باسل: يا سلاااام.

اندهشت فيروز، ونظرت له رافعة إحدى حاجبيها.

فعدّل من نبرة صوته وصحح موقفه:

ـأنا بحط نفسي مكانه بس عشان أعرف أترجمله يعني.

أجابت:

من وجهة نظري، أيوه بيساوي بينهم. لأنه بيخلي المرأه تخفي أنوثتها، عشان تنطلق في الحياة زيها زي الراجل.

لم يستطع باسل أن يقتنع، ولا أن ينقل وجهة نظر غير مقتنع بها إلى غيره.

ففضّل أن يجيب من وجهة نظره هو:

تقول لك،لا يمكنا المساواة بينهما.... فكل مختلف عن الآخر، وله وظيفته الخاصة. فالمرأة مكانها البيت، وان أرادت الخروج، فلتستتر عن الأنظار بالحجاب. فهي تتفق معي، أقصد معك، أن هذا الغطاء يقيد حرية المرأة ويحرمها من الانطلاق في الحياة.

وطال الطريق بطول الجدال بينهم، وبعدت المسافة ببعد المسافة بين وجهات النظر،وانقطع تقدم السيارة كانقطاع التواصل بين لغاتهم المختلفه.وانقطع أيضًا بسبب صدام بين سيارتين أوقف الطريق. وكعادة المصريين في تصيد الأخطاء، وافتعال الصراع، والروح التي تسكن أنف المصريين، والعصبية (التي أعتقد أنها مبررة،فحياة المواطن المصري تشفع له حقًا)، وكعادات وتقاليد المصريين في التعامل مع حوادث السيارات،نزل كل سائق منهما ليأخذ دوره في القاء الشتائم والتشويح والتهديد، ثم بكاقي طقوسهم المقدّسة امتد الأمر إلى التطاول بالأيدي، فعاد كل منهما لسيارته مخرجًا سلاحه الخاص، وأحاطهم الجمهور العريض، وأصبحت ساحة القتال جاهزة.

وكان لابد من التدخل، لمنع هذا التشويش على أفكار روهان، فهذا يزيد الأمر تعقيدًا. فهل على فيروز تبرأة بني جنسها، من الإرهاب أم تبرأة الإرهاب من أفعالهم.

أنا بقول نلف ونرجع تاني أحسن، مش باينلها شارع المعز انهردة. قالها باسل، فردت فيروز مصادقة على نفس الرأي،

=طب نوديه فين دلوقتي؟

ـتيجي نوديه المتحف المصري.

=أيوه، بس ده حضارة فرعونية. هيقولي فين إنجازات المسلمين.

ـطب نوديه ميدان التحرير. ونقوله عملنا ثورة زي غاندي وكده.

=لا لا عايزين أماكن أثرية.

ـيبقى نطلع على الحسين، نقعده على قهوة الفيشاوي، ياخد حجرين، ينجلي ويحب الإسلام ومصر وكل اللي انت عايزاه.

=ايه اللي انت بتقوله ده! عايزين آثار إسلاميه، نوريله إزاي كان عندنا حضاره وفن معماري،مش طول النهار ماسكين سيوف. أنا عرفت هوديه فين، اطلع على مسجد السلطان حسن.

انتبها الاثنان إلى غضب روهان الممتلىء به عينيه، من حديثهما الطويل المبهم بالنسبة إليه. فاعتذر باسل من جديد،ووعده بجولة ترضيه، أو هكذا ظنّ.

ـفين السلطان حسن ده؟ سأل باسل.

= جنب مسجد الرفاعي. أجابت فيروز.

ـمين الرفاعي ده كمان؟

=إنت عمرك ما شفت العشرة جنيه.

ـساعات بلمحها أصل أقل فكة بتبقى معايا خمسين جنيه. مالك عايزه فلوس!

=لا شكرًا. إنت اللي محتاج والله. طب لما تكون عشرة جنيه حظها حلو وتيجي في إيدك أبقى بص عليها هتلاقي مسجد الرفاعي.

نظر لها باسل وقال:

ـيارب يبقى حظك حلو.

صرخت فيروز في وجهه:

=قصدك إيه؟؟

ـبكام العشرة جنيه. بدعيلها. المهم بقى لما ألاقيها هلاقي العنوان يعني.

= يووووه. أطلع على ميدان صلاح الدين.

ـطب ما تقولي كده من الأول، بتكتري في الكلام ليه. كلامك بقى كتير خلي بالك، ومش موزون خالص.

تجاهلته تماما ونظرت عبر زجاج السيارة.

ابتسم باسل في أريحية ثم نظر لروهان الذي كاد يقتله بنظراته، فرسم الجدية على ملامحه وأخبره بأنه تأكد من العنوان وسنبدأ حالاً الرحلة.

وجه باسل ال Gps إلى ميدان صلاح الدين، هذه المرة.على أمل أن يُصبهم فتح من فتوحاته.

لكن أبى الشعب المصري، أن ينتهي اليوم، قبل أن يستعرض كل سلبياته في هذا اليوم.وساعد الزحام المروري لمنح روهان الوقت اللازم لرؤية كل التفاصيل المخزيه. فهذا شاب يطعن فتاة في قلبها حين تحرش بها، وهذه فتاة مطعونة القلب تعتدي بالضرب على أخيها الصغير، وهذا أخ صغير اشترك مع مجموعةمن الصبية في هدم الإنسانية، حين تنمروا بزميلهم الانطوائي.وهذا فتى انطوائي قتل الرحمة، حين عذّب أحد الكلاب الضاله.وربما يكون هذا الكلب الضال من عض الشاب المتحرش أو هكذا أعتقد.....

ـيعني إيه.. هي الناس قررت تعمل كل الموبقات انهرده. قالتها فيروز مستنكرة.

فرد باسل مستهزئاً:

=بيعملوها كل يوم وحياتك، بس إنت اللي مش بتنزلي الشارع.

ـطب فهم روهان إن أكيد في سلبيات. وأعتقد إن إحنا متشابهين مع الهند في مشاكل الفقر والجهل، لكن ده مش دليل عنف.

نظر لها باسل نظرةتكاد تنطق وتقول: (إحنا هنستهبل)، لكنه حاول قولها بلباقة فقال:

=لا يا شيخه. إحنا هنستهبل.

(لم يستطع أن يمنع نفسه من قولها).

ارتبكت فيروز.وهي من أصابها تشويش الأفكار الآن. هل نحن حقا إرهابيين،يرهب بعضنا البعض ليل نهار؟بالإضافة لدعوات التكفير واستحلال الدماء. هل هذا هو منهج الرسول الرحمة للعالمين، صاحب اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، واذهبوا فأنتم الطلقاء. لم يحمل ضغينة شخصية ولا ثأر لنفسه قط.حمل همّ دعوة الناس وهدايتهم، لا حسابهم والانتقام منهم.

فقالت محاولة تحسين الصورة:

ـالمهم هو تقبل الآخر.إحنا عايشين مسلمين ومسيحين مع بعض بمنتهى السلام.

فرد باسل:

=ياسلاااام. إحنا عايشين مع بعض صح بمبدأ السلام، سلام ياصاحبي، سلام سلام. لكن لو طولنا شوية في الكلام، محدش عارف ممكن نوصل لحد فين.وبعدين إيه رأيك لو زودنا اليهود!! أوجه حد زي الأخ روهان كده يعيش وسطينا هيحصل إيه!!

أجابت فيروز مستسلمة لوجهة نظره:

ـأه. مهو جي مخصوص يتفرج الناس هتعمل إيه لما تعرف إنه هندوسي. وبعدين إنت معايا ولا معاه؟ أعمل إيه إذا كان الإسلام حاجة والمسلمين حاجة تانية خالص.

صاح باسل:

=يبقى تعدي في بيتكم عمال ما تعرفي تعملي إيه.

فخرج روهان عن صمته غاضبًا من مناقشتهم العربية رغم اعتراضه أكثر من مرة، وقال:

Bas

Enough

ـبس!

تعجبت فيروز من الكلمة، وقالت في فرح:

The same word is in Arabic

ووجدوا أخيرًا شيئًا يتفقوا عليه أو يجمع بينهم. تشابه بعض مفردات اللغة، الذي قد يزيل حواجز نفسية كثيرة، لا يمحوها كُتر الجدل.

انتهز باسل الفرصةلأخذ هدنة كافيه، فاقترح على روهان أن

نكتفي بهذا القدر لهذا اليوم ونختم اليوم بغداء ودّي، في مطعم هندي.

دائمًا تمر فقرة الطعام على خير. وانتهى اليوم بلا أي إنجاز يذكر.

.....

حان وقت رحيلي يا فيروز، وكم يؤلمني هذا. ليس لأني سأموت،بل لأن يوم من عمرك يمضي معي. كم وددت أن أكون يومًا يُضاف لعمرك لا ينقصه. لكن هذا هو حال الأيام، رغم أن كل منا يبدو يوم جديد، لكنه في الحقيقه مخادع، يبدو أنه يضيف إليك لكنه يأخذ منك.

يا إلهي ماهذا! ماذا أقول؟، يبدو أني سأبدأ بهجاء الأيام أيضًا، من أجلك يا فيروز.لكن لا بأس سأُصبّر نفسي بما حملت من ذكراك معي. كما سأخبر يوم غد عنك، وأوصيه أن يوصي اليوم الذي يليه أن يكمل قصتك. قصتك، التي أنهيت أنا يوم منها.

.....

***

الفصل الحادي عشر

اليوم الثاني

أخيرا سينطق الزمان، أخيرًا سأنال هذه الفرصة العظيمة لأهجوكم.....هذا هو الزمن الذي تلعنوه .....وماذا عنكم .....

اعذروني فإني أحب الشعر .....

هكذا أوصاني .....وحتى تلك اللحظه سأقوم بمهمتي على أكمل وجه سأردد جملتي:

(أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة) وأوصاني أيضًا، أن أكمل قصة فيروز أحمد، من سكان حي شبرا.

بنفسالخطوات الحازمه السريعة، تتجه إلى نفس الفندق لتلتقي نفس الباسل وتتخذ نفس الموقف برفض الدخول معه، والانتظار حتى يخرج بروهان، الذي حيّاها من نفس المسافه، وركبوا جميعًا سيارة باسل، منتهجين نفس نهج الصمت .....

ـاحم طب نفطر؟ هو أنا ليه حاسس إني وقعت في فيلم ألف مبروك.

قال باسل.

فغيرت له فيروز أحداث الفيلم:

=لا أنا فطرت في البيت.

ـطيب تمام. أمنتي نفسك المره دي. ندخل على السؤال اللي بعده، على فين انهرده؟. سأل باسل.

=على مسجد السلطان حسن.

ـمتأكدة؟

=أيوة.

فقاطعهم روهان معلنا اكتفاءه من عبثهم:

ـلقد سئمت من ذهابي معكم حيث ترغبون،دون أن أفهم أين أنا ولماذا؟

أنا مخرج، أنا من يقود الناس هل تفهمون؟ ولماذا اختيار أماكن بعينها؟ أريد أن أتعامل مع الناس، مع المسلمين الأبرياء دعاة السلام، كما تدعون. أريد أن أقولها ببساطة، هاي أيها الناس، أنا هندوسي فماذا أنتم فاعلون؟

صمت فجأة وكأنه تذكر شيئًا ما.... بدأ باسل يترجم لفيروز ما قال،فلم يمهله روهان الفرصة ليكمل، وقام بتنفيذ ما فكر به. فتح باب السيارة، وخرج ليعلنها بنفسه.....أنا روهان، ممثل ومخرج هندي.....أنا هندووووسي.

قالها بالإنجليزية، فنظر له المارة متفرجين فقط، وهم يكملون سيرهم.

خرج باسل مسرعًا من السيارة، يحاول تهدئته وإعادته إليها. لكن روهان أصر على موقفه، فاختار أحد المارة واستوقفه،وأجبر باسل أن يترجم له، مهددًا أنه لن يترك المكان قبل أن يترجم. استجاب باسل لضغطه وقال للرجل:

ـبيقولك أنا اسمي روهان، مخرج هندي، (على فكره مخرج وممثل هندي معروف اوعى تتهور ها) زاد باسل الجملة الأخيرة من عنده ثم التقط أنفاسه قبل أن يقول التالية:

وبيقولك إنه....إنه هندوسي وعايز يلاقي دور عبادة مناسب ليه.

وجاء رد فعل الرجل كمفاجئة متوقعة:

ـدور برد لما يرقدك في السرير متقومش يا بعيد. إنت عايزني أجيبلك بقرة يا ..(تيبيت).... تعبدها قدامنا ولا إيه.

صاح روهان في باسل:

ـماذا يقول؟ أخبرني أريد أن أرد عليه أخبرني.

=مفيش بيقولك تقريبًا كان في هنا وقفل، عشان مفيش سياح هنود كتير. يلا بينا من هنا بقى.

اعترض روهان، الذي مازال يسمع صوت الرجل مهاجمًا له ويعلم أنه لم يقل حرفًا مما قاله باسل، ووجه كلامه للرجل:

ماذا تقول؟ ها، لا تستطيع تقبل الفكرة أليس كذلك؟. لا تستطيع أن تحترم عقيدة الآخرين.

ضاق الرجل ذرعًا بروهان، وهو يراه كافر متطرف يتعدى عليه، فصرخ في الناس الذين بدأو في التجمهر بالفعل:

ـشايفين وصلنا لإيه! الراجل ده هندوسي بيعبد....،أستغفر الله العظيم يارب، البقر. وعايز مكان يعبد فيه إلهه، هنا، في مصر،المذكورة في القرآن الكريم.

فعقب آخر، ده إرهابي يا جماعه شكله هيفجر المكان.

وكانت الذريعة، أسرع الناس نحوه في حماسة الجهاد، للاعتداء عليه. كل هذا وفيروز تراقب في السيارة في ذهول، وقلبها يرتجف من الخوف، لكن وقت الخطر تفاجئك نفسك بشجاعة نادرة طالما تمنيتها، فنزلت مسرعة ووقفت أمام روهان وصرخت بأعلى صوتها:

ـأوعى حد يقرب منه. ده سايح أمريكي من أصول هندية، أمريكي سامعين أوعى حد يقربله. ممثل وكان بيمثل دور بس. عيب عليكم تخلو شكلنا كده قدام الغرب. ليه بتشوهو الإسلاااااام.

هدأ الناس قليلاً. ربت روهان على كتفها مهدئًا لها، فانتفضت ملتفته إليه قائلة:

Don›t touch me

نفخ روهان مستنكرًا عقليتها. فقال باسل:

ـيلا بينا من هنا، يلا بسرعة.

ركب الثلاثة السيارة، وانطلق باسل مسرعًا.

لحظات طويلة من الصمت، قطعتها فيروز بصرخة، فرمل باسل على إصرها وقال فزعًا:

ـفي إيه تاني!

=موبايلي، مش لاقيه موبايلي.

ـيابنتي حرام عليكي،إحنا متلبشين خلقة. بسيطة تلاقيه وقع في الخناقة

=يعني إيه وقع! ولو ماما اتصلت دلوقتي هعمل إيه.

ـيعني كل اللي همك لو ماما اتصلت! اهدي كده إن شاء الله هنلاقيه. أرنلك عليه؟

=أه ماشي. اده! وانت معاك نمرتي منين؟

أجابها مرتبكًا:

ـمن...من منى أكيد.

=وتاخدها من غير إذن ليه؟

ـيووه . بص يا روهان هي اللي بطول في الكلام بالعربي والله مش أنا. أرنلك ولا لأ؟

=رن وخلصني.

هاتف باسل هاتفها، فاستجاب رنينه داخل السيارة تحت قدم فيروز. نظر الجميع إليه، التقطته فيروز مسرعة، وتفحصته وعادت

بالنظر إلى باسل لتطمئنه على حالته، فوجدته هو وروهان مازالا ينظران مكان سقوطه. فصاحت: خلاااص جبته.

فاعتدل كل منهما في سرعة.ثم قال باسل:

ـطيب. على فين العزم إن شاء الله؟ ثم وجه كلامه لروهان:

أظن خدت فرصتك كامله. سبنا احنا بقى نختار مكان المرة دي.

رد روهان في غضب:

ـلقد أثبت لكم وجهة نظري. مارأيك يافيروز فيما شاهدتي من أهل بلدك؟! وشركاءك في العقيده؟ أليس هذا المشهد كنظيره الذي تشاهديه عن اضطهاد المسلمين في الغرب.

نظرت لباسل متلهفة لترجمته التي تفك لها الرموزكما تمنحها الفرصة لسماع صوته ورؤية عينه وتفقد ملامحه. منحها باسل ما أرادت وزيادة حيث تعمّد إطالة النظر وتمطيط الجمل.

لكنها تمنت بعدها لو لم يترجم حرفًا، أيعقل هذا! لقد صدق روهان في كل ما قال، ولا تملك أي إجابة شافية أو دفاع مقنع. والغريب أنها تعلم ذلك جيدًا من البداية، ماذا كانت تتوقع؟ حيّرها أمر الناس كثيرًا، متدينين بطبعهم، لكن لا أحد يعلم أي

دين يتبعون.دين يعلنون توحيد إله بعقيدة راسخة. لكن هناك ثمة خيالات أصنام تراها بوضوح، بينما يحاول الجميع إقناعها أنها قد خُيّل لها، لكنها تراها، تراها في حديثهم، في سلوكياتهم، تسكن عقولهم وتسيطر على أفكارهم. أصنام من العادات والتقاليد، أقوى وأرسخ من عقيدة التوحيد. يحرمون بها حلالا ويحللون حرامًا. يصدرون الأحكام وينصبون المشانق بضمير مرتاح وهم ليسو بقضاه من الأساس. كم تمنت لو أن لها فأساً كفأس إبراهيم عليه السلام، تطيح به كل العاهات التي تضيع الحقوق،وتجعلنا عبيداً لأفكار صنعناها بأيدينا ثم مجدناها. وحين يسألها الناس من فعل هذا بآلهتنا ستجيب، لم يكن هناك آلهة، هو إله واحد، أنسيتم؟ أم خُيّل إليكم؟!.....لكنّها حين يشتد اليأس بها، تتذكر جدها،الشيخ الفاضل الذي كسر صنم قرية كاملة، حين ذهب إليهم خاطبا إحدى فتياتهم. وطلب أن يراها قبل الخطبة فظهر صنم خفي وقال: لا عيب ميصحش،مفيش حد عندنا بيشوف مراته قبل الجواز!!! فأمسك جدها فأس إبراهيم على الفور، وأطاح برأسه بقوة الإيمان،وفهّمهم ما غاب عنهم،حتى أصبح أول رجل يرى امرأةفي القرية قبل الزواج بها....

لكن هذه القصة تحيرها من جديد كيف لقرية كاملة في القرن العشرين ألا يصلها الإسلام، رغم دخوله إلى مصر؟!. ألم يزرها

عمرو بن العاص أثناء فتحه؟! لكن ماحال من زاره!،لم يختلف الأمر كثيرًا. فإن ظهربتلك القرية صنم واحد جليٌّ، فهناك العديد غيره بيننا في كل قرية وكل محافظة وكل عاصمة عربية. من المسؤول عن تغييب صحيح الدين عنا. من بنى الأصنام؟ ومن ابتاعها؟ ومن أخفاها في عقولنا حتى نعبدها عن يقين دون أن نراها.

ـفيروووووز فيروووووز حتى فين !!

أفاقها باسل من هلاوسها.

=اده في إيه بتزعق ليه

ـبقالي ساعة بسألك هنروح فين وانت ولا هنا.

=معلش سوري سرحت شوية. أطلع على مسجد السلطان حسن.

نظر لها باسل طالبًا التأكيد، فأجابته قبل أن يسأل:

=أيوه متأكدة.

وجه ال GPSعلى ميدان صلاح الدين من جديد، وانتظر نتيجة مختلفة،لا تكن أبدًا كنتيجة زميلي الراحل، يوم أمس.

تكررت بعض المشاهد، واستحدثت مشاهد أخرى،لكن تجاهل الجميع ذلك حتى يتمكنوا من الوصول لوجهتهم. فالتغاضي عن بعض الأخطاء يمنحك الوقت الكافي للوصول لهدفك.

كانت الحكمة صحيحة، فوصلوا سريعاًإلى مسجد السلطان حسن.

ذلك المبنى العظيم الضخم، الشاهد على حضارة إسلامية عريقة.تشعر لوهلة أنك سافرت عبر الزمن بمجرد دخولك حي القلعة.حيث تجد قلعة صلاح الدين البارعة الجمال عن يمينك. ومسجد السلطان حسن،وبجواره مسجد الرفاعي على يسارك. كما تتزين المنطقة بالعديد من المساجد الأثرية الأخرى.

المكان كله تاريخي تشهد حجارته على أصالته وحضارته.

تصيبك الدهشه من المسجد الذي يضاهي الحرم في ارتفاعه. ويوازيه في الارتفاع مسجد الرفاعي المبنيّ بعدة بسنوات طويلة ولكن على نفس المنوال. ترى فيه قوة البناء وروعة الزخارف في آن واحد. وُصِف بأنه أجمل مساجد مصر، وخير أبنية عصر المماليك، ودرة العمارة الإسلامية في الشرق بأجمعه. ووصفه ارثررونيه بقوله: (إن العبقرية هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسيةفبث فيها روحامن عنده، فلكل زخرفة من جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى). كما وصفه العديد من المؤرِّخين والأثريين الآخرين.

تصميم المسجد غاية في الجمال والإبداع. تشعر بالهيبة والعزة والفخر وأنت تقف أمام بابه الكبير المزين بالزخارف وما أن يُفتح

أمامك حتى تشعر أنك انتقلت من ضيق أفقك ومحدودية تفكيرك إلى السعة ورحابة الصدر واستنارة العقل حين ينقلك المسجد من ممراته الضيقة إلى ساحة واسعة مشرقة،تجد نفسك فيها بينأربع إيوانات عظيمة البنيان، أكبرهم هو إيوان القبلة، المزين برخام وحجارة فخمة ملونة، وله إيطار من الأعلى زُين بالخط الكوفي، وفيه المحراب المزين بالرخام الملون ومحلّى بالزخارف، ومنبر له باب من النحاس المفرغ، يتوسط تلك الساحة صحن واسع به فسقية للوضوء،لها قبة مبنية على ثمانية أعمدة، ومزخرفة بالآيات القرآنية. وحول الصحن أربع أبواب لأربع مدارس، يحوي كل باب منها إيوان وصحن به فسقية ويحتضن عدة طوابق أخرى للطلبة.....

الزخارف والنقوش تملأ المكان. افترشت بها الأرض مع الرخام الملون. وزُيّنت بها الأسقف بجوار المعلقات من المصابيح والمشكاوات. مبنى ضخم استغرق بناءه ثلاثة أعوام كاملة دون انقطاع. وأبرز جمال الفن والعلم معا. وكان يغلف كل هذا الجمال باب نحاسي يتناسب جماله مع جمال ما يخفي خلفه إلا أنه سُرق ووضع مكانه بابًا آخر ليس مثله في الجمال لكنه مازال شاهقا.

وقف الثلاثة أمامه، رافعين أنظارهم، فاتحين أفواههم، وهم يتأملون ارتفاع المسجد وجماله. في إعجاب صريح في عين فيروز، يحمل معه عنصر الدهشة في عين روهان، بينما حاول باسل تشتيت

عيناه عن النظر للمسجد، ففضل النظر لفيروز وتأملها، لكنه يجد عينه تزوغ منه بين الحين والحين لتشاهد وتشهد جمال المسجد.

كانت فيروز فخورة بحضارة الإسلام. متعجب روهان من حضارة الشرق. منكر باسل أن يكون كل هذا البنيان من أجل الصلاة.

وكأن فيروز تستمع لأفكاره، فقالت مصححة:

المسجد ده مكنش للصلاة بس، ده شاهد على حاجات كتير.

شاهد على حضاره وعراقة وأصالة، على فن وجمال ورقي، على تفتح وعصرية.

عارفين جبتكو هنا ليه؟

لم ينطق أحدهما، وهما يخطوان أولى خطواتهما داخل المسجد حتى وصلوا جميعًا إلى الصحن، فوقفوا في منتصف الساحة، والتفت حولهم الإيوانات الضخمة والأبواب الأربعة.

الكل يتأمل كل قطعة فسيفساء في هذه اللوحة الفنية الضخمة.

استرسلت فيروز في حديثها المرهف عن المسجد:

المكان ده مش مجرد مسجد. ده تصميم فريد بيدل علىجمال الفن المعماري ، بس هو كمان مش مجرد تحفة فنية،ده وطن.....

كان فيه مكتبة، ومدرسة للأيتام بتعلمهم قرآن وخط، وكان فيه تعليم تفسير القرآن والأحاديث والقراءات السبع، وكان فيه دكتور عيون وباطنة وجراح بيعالجوا الناس ببلاش. والأهم هما الأربع أبواب دول.ورا كل باب منهم كان فيه مدرسة ، عارفين بتدرس إيه؟ بتدرس الأربع مذاهب، كل باب لمذهب.، الأربع مذاهب احتضنهم مكان واحد .....

عشان كده جبتكم هنا. هنا مكان جمع الدين والدنيا. جمع الجمال والقوة وجمع الاختلاف وأهله بمنتهى الرقي والتصالح والتسامح.

مسجد السلطان حسن بيلخص الإسلام.

متدين أكتر من ناس كتير.بهرب من كفرهم لإيمانه، ومن جهلهم لعلمه، ومن انحطاطهم لرقيه.

بحتمي في جدرانه، وأملي عيني من جماله، واطمن بين سطور التاريخ المحفورة على أحجاره.

.....

تملكت روح المكان منهم جميعًا فلم يستطع باسل أن يبدل حرفًا مما قالت في ترجمته، ولم يستطع روهان أن يخفي انبهاره بالمكان وما سمع، فنظر لباسل وقال:

لماذا أشعر أنها المرة الأولى التي تترجم لي بطريقة صحيحة؟. هل تتعمد أن تترجم شيئًا آخر غير ما يُقال؟!

ارتبك باسل ونظر لفيروز ليطمئن إن كانت فهمت ما قال روهان أم لا.

لاحظ أنها لم تفهم كلية، لكن يبدو عليها الترقب والشك.

أنكر باسل في انفعال. رأته فيروز ينثر كلماته الإنجليزية الغاضبة هنا وهناك،ثم همّ بالرحيل والتفت إليها قائلاً: هستنا كم في العربية.

لم تستوعب سبب غضبه ولم تفهم نظرة روهان مع ابتسامة خفية توحي باكتشافه أمر باسل، نظر لفيروز وهز كتفيه مشيرًا لعدم معرفته سبب غضب باسل. لم تتحمل فيروز فكرة وجودها مع روهان بمفردها، فأسرعت تلحق بباسل. ضحك روهان من تصرفاتها العجيبة وأشار إليها بكفه خمس دقائق وسيلحق بهم.

خرجت في خطوات سريعة متلهفة لرؤية باسل والاطمئنان عليه. ثم بدأت بإبطاء خطاها، وخفض صوت دقات قلبها المشتاق، ورسم اللامبالاة على ملامحها، حين رأته مستندًا إلى سيارته.اقتربت منه.....وقفت بجواره صامته. نظر إليها بطرف خفي ولم يتكلم.

ـهو انت مبتشربش سجاير؟ فاجأته فيروز بالسؤال.

=لا، اشمعنا.

ـأصل مش عارفه ليه حسيت هطلع ألاقيك مولع سيجارة.

=عشان اتعصبت يعني؟

ـيعني.

=ومش عايزه تسأليني اتعصبت ليه؟

تصنّعت عدم الاهتمام بقولها:

ـعادي لو حاجة تخصني كنت قلتلي أكيد.

=امم وجهة نظر برده، أصل زي ماانت عارفه أنا وروهان أصحاب من زمان وبينا أسرار كتير.

ثم اعتدل في وقفته، وخبط بيده على السيارة، وأكمل:

إنت عايزه تشليني، إزاي بتقولي حاجة غير اللي جواك؟

ـبتزعق ليه دلوقتي الحق عليه جيت أطمن عليك.

أخفض صوته وهو يقول:

= إنت جيه تطمني عليه؟

ـلا قصدي جية أفهم إيه اللي حصل.

عقد يديه ورفع حاجبيه.

صحّحت:

ـلا قصدي جيت عشان مفضلش واقفة مع روهان لوحدنا.

ابتسم وقال:

= طب مااحنا لوحدنا.

ـلا إنت .....إنت عايز إيه، أنا رايحة أناديه كفاية كدة.

أسرع أمامها يمنعها من الذهاب:

= خلاص خلاص أنا آسف اعذريني بس متلخبط شوية.

وقفت، وتراجعت لأنها تريد ذلك.

وبدأ حديث من القلب إلى القلب:

=أنا عارف إنك خايفة ومش سهل تثقي في حد.

ـهو باين عليه أوي كده؟

=بالعكس إنتِ قوية وجدعة، شفتي وقفتي إزاي في وش الناس وبعدتيهم عن روهان. أنا بس حاسس باللي جواكي.

صمتت لأنها تريد سماع المزيد، صمتت لتقول له أكمل لن أقاطعك لن أصدك أكمل أرجوك.

أكمل:

= إنت إنسانة مختلفة أوي، حساسة وشايلة هم كل الناس، أحلامك كبيرة، وجميلة، وبريئة. عايشه في عالم خاص بيكي مثالي فبتتصدمي بعالمنا ومجتمعنا.

ثم نظر لها محاولاً استدعاء عينيها راجياً أن تنظر في عينيه، فاستجابت. وقال وانعكاس عينه في عينيها: تقريبًا جية من الجنة هنا بالغلط.

سكنت الكلمات في حضرة كلام العيون، وترجمت لغتها القلوب.

ابتسمت وقالت:

ـ كل ده أنا.

زاد في غزله:

=لا، ده بس أول بيت في القصيدة، تاني بيت جميلة، تالت بيت متواضعة، رابع بيت بقى على إيدك الشمال مبتثقيش في حد.

ضحكت، فتابع بلهجة أكثر جدية:

=ممكن نثقي فيّا شوية.

أخافها طلبه، الثقة....من يستحقها ومتى يجب أن تمنح وكيف نثق في اختيارنا لشخص ما لنثق به. وماهي مؤهلاته لنيلها، هل

يستحقها بمرور السنوات أم بتعدد المواقف أم بالاعتماد على حدسنا. وهل يستحق أي إنسان على وجه الأرض أن يمتلك شيء ثمين كهذا. أستطيع أن أخبركم من خبرتي، وما رأيت في ذاكرة الأيام وتاريخ الأرض. الثقة يجب أن تكون في الله وحده، والتسليم بين يديه فقط. أمّا البشر فيمكنكم السماح لهم بالاقتراب من حدودكم دون اختراقها، ومنحهم بعض الأمان مع تخوينهم، «فأحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وأبغض عدوك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما» . ويبدوا أن لفيروز رأي مشابه لرأي، فقالت بثقة:

_الثقة مبتطلبش، الثقة تُمنح مع المواقف.

استثقل باسل إجابتها ففضل أن يمر عليها مرور الكِرام:

=امم تُمنح! طب يارب ارزقني منحة مجانية يارب.

وتابع مع صوت ضحكاتها: خلتيني أدّعي ربنا كمان أهو.

قالت ضاحكة ظانّه أنه يمزح:

_يعني إيه، أومال هتدعي مين!

= ها، اه صحيح. بصي ثقي فيّا، بس مش أوي برده.

واهو روهان وصل أهو.

ـطب ممكن أيًّا كان اللي حصل بينكم تصالحه، ده ضيف عندنا برده.

=حاضر عشان خاطرك بس.

أسرع يحيّيه:

روهان ناماستي ناماستي.

ومال عليه، وقال اعذرني على غضبي لم أتحمل اتهامك لي، فالترجمة أمانة لا أستطيع خيانتها.

كان يشغل روهان أكثر روعة ما شاهد من حضارة، فقبل اعتذاره دون جدال في الأمر. ثم توجه لفيروز يشكرها على إحضاره لهذا المكان الرائع.متمنياً أن يصور أحد أفلامه به في يوم من الأيام.

غمرت السعادة والفرحة قلب فيروز، ففرحتها فرحتان، فرحة زارتها رغمًا عنها من حوارها مع باسل وما شعرت به من بهجة وتفاؤل وجمال وحنان وأمان وونس وهي تحدثه، وفرحة انتظرتها بتأثيرها على روهان وتغيُّر موقفه.

ثم صمت الجميع في ترقب وكأنما شعروا بالهزة الأرضية قبل حدوثها. صمتوا ليمنحوا هاتف فيروز الفرصة ليفرض منحنى جديد للأحداث.....

***

الفصل الثاني عشر

نصف اليوم الآخر

ثم ماذا الآن؟!؟؟؟!!

مرّ نصف اليوم على خير، كادت تشب حرب طائفية ويتم تنفيذ عملية إرهابية بسبب صراخ روهان في أحياء القاهرة لكن تصرف فيروز البطولي أنقذ الموقف.

ثم طالتهم نفحات مسجد السلطان حسن وبركاته، فانشرح قلب روهان وتعلق بجمال المكان، وارتبطا قلبان واتصلا برابط روحيّ مقدَّس كقدسية المكان الذي ولد فيه.

والآن مكالمة هاتفية عاجلة من صديقة العمر سارة تهدم آمالاً، وتحطم أحلاماً، وتسرق فرحة، وتسلب ثقة مُنحت منذ قليل.

ـفيروز أنا كنت بكلم منى على الماسنجر بالصدفة، واتكلمنا عن يوم الحفلة، وعرفت منها معلومة غريبة عن باسل.

تاهت نظرات فيروز وتجمّدت ملامحها وتراجعت للخلف ثم ابتعدت كثيرًا قبل أن تصيح:

=ملحد!!

يعني إيه ياساره إزاي! إنت متأكدة.

وصوت سارة يأتي عبر الأقمار الصناعية مؤكدًا.

=ليه يا سارة ليه.

ـمعرفش يافيروز. اهدي متقلقيش، هو بس الأهم تعرفي هو ليه بيساعدك، وبيترجم إيه لروهان بالظبط. هو إنت بتبقى فاهمة كلامهم؟

= لا بيكلموا بسرعة ومش بركز أوي. وكنت واثقة .....

ولم تكمل....تلوم نفسها الآن على الثقة التي أُهدت بلا مبرر. لم توثق بموقف يستحق، ولم تتجاوز الفترة اللازمة لنيلها، وربما اعتمدت فقط على الحدس ودقات القلب.

انفعلت بشدة:

يعني إيه ملحد وقاعد معايا عادي كده؟!

ردت سارة في تهكم:

ـيعني يا فيروز ما انت معاكي هندوسي جت عل الملحد، بصراحة إنت مجايبك كلها ماشاء الله.

=طب اقفلي دلوقتي يا سارة اقفلي

ـانت معصبة نفسك ليه أنا مش فاهمة!

=سارة روحي شوفي عيالك.

ـ طب انت بس هزئيه ومشيه، ونشوف غيره. لو على الترجمة أمرها سهل.

=طب اقفلي دلوقتي يا سارة اقفلي سلام.

أغلقت الهاتف وتوترت كثيرًا

تمشي ذهابًا و إيابًا في خطوط مستقيمة وأخرى متعرجة وتحدث نفسها بصوتٍ عالٍ:

يعني إيه، يعني إيه ملحد؟

ليه مقاليش؟ ليه ساعدني؟ ليه كذب عليَّا؟ وإيه اللي جبره يترجم كلام مش على هواه؟ ولا كان بيترجم اللي على هواه؟!!

ويعني إيه ملحد؟

يعني ملوش دين! يعني لا أنا ولا روهان عاجبينه أساسًا.

يعني مينفعش يتجوز مسلمة.....

ثم زاد انفعالها على نفسها:

طب وأنا مالي يتجوز مين؟

ثم أجابت نفسها عليها:

ما أنا بجمع معلومات عنه بس. بحاول أفهم مين اللي معانا بالضبط.

لتعود هي للعويل وندب الحال:

أنا إيه اللي ورطني الورطة دي،

أنا مالي.

ما كنت قدمت روايتي لأي دار نشر هنا وخلاص،

عالمية إيه اللي بدور عليها .....

.....

طال انتظار فيروز، وازداد قلق باسل عليها، فتحرك مسرعًا يبحث عنها،حتى وجدها جالسة على الأرض تتحدث إلى نفسها، ثم

ألقت ظهرها على الأرض تنظر إلى السماء وترسم بيدها رسومات في الهواء. وقف عند رأسها ونظر إليها مبتسمًا، متعجب مما تفعل. فانتفضت من مكانها حين رأت وجهه بين السحب في لوحتها الخيالية التي ترسمها، فاعتدلت في جلستها وظهرها له.

نزل على ركبتيه خلفها، ولم يكد يفتح فمه ليقول شيئًا حتى التفتت إليه في حدة،وقالت على الفور:

ـإنت ملحد؟

صفعة السؤال على وجهه، فصمت.فكانت إجابة وافية، كافية للانتقال للسؤال التالي:

ـوليه مقولتليش؟

=خفت

ـمن إيه؟

=متقبليش أساعدك

ـوليه عايز تساعدني أصلاً في حاجة إنت مش مؤمن بيها؟

=مش عارف، صدقيني مش عارف. حسيت إني عايز أبقى معاكي، قصدي عايز أساعدك وبس.

ـمش قادرة أستوعب إنك ملحد! أنا كمان خفت، خفت منك دلوقتي.

وقامت، وهمّت بالرحيل. وتخطته بخطوات مترددة ثقيلة لا ترغب في الرحيل، وكأنها قطعة حديد تحاول الإفلات من جذب وجاذبية مغناطيس. ابتعدت خطوات فصاح بها غاضباً:

متبقيش تتكلمي بقى عن التقبل والدين السمح، طلعتي بتقولي شعارات زيهم.

بتقبلوا على مزاجكم. فطبعًا الهندي يستاهل اتقبله عشان مخرج ممكن يفيدنا.

مسألتيش نفسك إيه اللي يخلي بني آدم مخلوق على الفطرة زي مابتقولوا، وعايش في بلد عربي مسلم، يكفر بيكم.....

توقفت....تراجعت كالعادة،جلست بجواره وقالت في هدوء:

ـهما مين بس دول اللي أنا زيهم. وإيه اللي يخلي الشاب اللي إنت قلت عليه ده، يكفر بينا. واحنا مين!

نظر أمامه وبدأ يسترسل ويخرج ما بداخله، كمريض ارتمى على شازلونج أمام طبيبه النفسي الذي يثق به.

انتو اللي بتدوا لنفسكم حقاحتكار الدين. تقربوا اللي راضيين عنه، وتبعدوا اللي يستحق غضبكم.

أنا عشت في بيت ليبرالي. بابا كان بيكره الإسلاميين معرفش ليه، بس أنا دلوقتي متأكد إن كان له أسبابه. وماما كانت عادي،مش فارق معاها حاجة، اتحجبت قبل جوازها من بابا عشان أخوها نتدين فجأة، ودخل في يوم كسر لهم كل شرايط الأغاني، وفرض عليها الحجاب. وقلعته بعد جوازها عشان متزعلش بابا. ورجعت لبسته على خفيف كده بعد ما مات، وهي مش فارق معاها هو فرض ولا لأ،وهي كده بتاخد ثواب ولا لأ،عادي. عمرها ما قالتلي صلي، بس لو شافتني بصلي عادي، كله عادي إلا إن حد من اللي جوزها بيشتم فيهم ليل ونهار يقربوا من ابنها.

لما كنت في ثانوي بدأت أنا وواحد صاحبي نتدين زي ما بتقولوا، نصلي في الجامع ونحضر دروس وبدأنا نقرأفي الدين. صاحبي كانت أسئلته كتير ويحاول يفهم أكتر عندينه. كنت دايمًا ألاقي إجابات الشيخ عليه بتوجهه إنه إزاي يطيع ربنا ويرضخ لأحكامه، أكثر ما كان بيجاوب على السؤال نفسه. صاحبي فجأة بقى ما بيحضرش معانا وبعد عني فترة.

ولما أجيب سيرته، يقولولي سيبك منه.استفزني جدًا الموقف، انتو بدل ما تحتووه وتردوا على أسئلته بالمنطق، اعتبرتوه بيجادل وبلاش منه أحسن.

ومرة واحدة صاحبي أعلن إلحاده وبدأ ينشر آراءه. وابتدت الحرب. هجوم عليه وتشهير بيه ووصلت لتهديدات بالقتل.... وفي نفس الوقت ماما عرفت إني بروح الجامع أصلي فاترعبت، ده وكر الناس اللي أبوك بيقول عليهم بيجندوا الناس ويخلوهم يموتوا نفسهم.

حاولت أفهمها إن دول ناس عادية جدًا، وإن الدين مايخوفش. بسفي نفس الوقتكنت بدأت أنا أقلق من اللي بشوفه.الصورة عندي بقت بالمقلوب. بدأت أسأل في أمور شايف فيها تناقض أو مش فاهمها، بدأ يتجاوب عليه ببلاش الأسئلة دي وحاول نتفقه في الدين. طب ما ده تناقض، إزاي أتفقه في الدين من غير ما أسأل وأعرف!. ولو هو دين حق ومفهوش غلطة، خايفين من أسئلتي ليه!

طب صاحبي بيتهاجم كده ليه بدل ما حد يناقشه بالعقل؟! مش بتقوله إنه دين إعمال العقل؟ وليه شايفكم دلوقتي كفار قريش اللي بيهاجمو واحد جي بفكر جديد؟! طبليه اتحاسب على خروجي من دين أنا ما ختارتش أدخله؟!!..... كل يوم بتزيد الأسئلة وتتضاعف طول مامفيش إجابات عليها...بعدها صاحبي اتعرض

لضرب عنيف من الناس في الشارع وراح المستشفى في حالة صعبة وماااات.....يمكن عشان كده وقفت متحركتش لما الناس اتلمت على روهان. الذكريات سمرتني مكاني.....

من يوميها كفرت بكل الأديان اللي بتقدس أرواح وتعظم حياتهم، وتحلل دم أرواح تانية وتدي ثواب على قتلهم.....مش قادر أنسى مامته في جنازته وهي بتصرخ وتقول: شاب طايش وكان مسيره يرجع لرشده. ابنكم كنتوا استحملوه، عقلوه. ده مخلوق على الفطرة وفي بلد مسلم هيكفر ليه!!!!

ساد الصمت لحظات مريرة.

يااااهللصورة حين تتضح، وأنصاف الحقائق حين تكتمل.....

ألم فيروز فاق الحد. ألم نجني فقط على غير المسلمين؟! ألم نصدّر صورة الإسلام الإرهابي للغرب فقط؟! هل امتدت أيدينا لقتل فلذات أكبادنا، هل جعلناهم يكفرون بالدين والحرية وحتى الأمل.....

نعم، فمن منا يأخذ معتقدات هؤلاء الشباب على محمل الجد؟! ألا يتم الاستهزاء بهم واتهامهم بالسعي وراء الشهرة والتشكيك في الدين، يوميًّا على صفحات التواصل الاجتماعي.وحدّث ولا حرج عن المناظرات التي تذاع بين صاحب أي معتقد غريب عنا، وبين

شيخ (يُمثِّل) الإسلام ولا يمثله.إذن فنحن لدينا أصنام قوم إبراهيم ولدينا أيضا النّار المعدة لإلقاء كل من يذكر آلهتنا بسوء.....

تنهدت فيروز لتريح عقلها من أفكاره قليلاً، ونظرت لباسل:

_أنا آسفة.

نظر لها مبتسمًا، والتقت عيناهما لأول مرة.... لقاءفصلهما عما حولهما، لقاء خاص للأرواح بعيدًا عن الأجساد. وكأن الأجساد توقف بها الزمن وسكنت على حالها فلا حراك فيها. وحلّقت الأرواح والتقت في عالم أكثر صدقًا وبراءة وبساطة. فغرقت كل عين في دفئ وحنان الأخرى. إنه لقاء تتعارف فيه العيون، تتحدث، وتتسامر، وتضحك، وتفرح، تُفصح وتُفضح.....

طالت لحظات السكون الخارجي والاشتعال الداخلي، حتى استطاعت فيروز أن تخرج نفسها من هالة باسل التي غمرتها، فختمت اللقاء بابتسامة رقيقة ونظرت أمامها.

ثم انتبهت فجأة:

اده إحنا كان فيه حد معانا

فقالا في صوت واحد، رووووهان.

أسرعا إليه حاملين همّ تهدئته من جديد.لكنه لم يكن في انتظارهما كما توقعا، ولم يكن غاضباً على الإطلاق. كان هائمًا في جمال قلعة صلاح الدين. فانتزعوه انتزاعًا من حضارة الماضي، حفاظًا على حاضر فيروز ومستقبلها، خشية أن تبطش بها والدتها عند عودتها في وقت متأخر.

عاد ثلاثتهما إلى سيارة باسل. وقبل أن تنتهي الرحلة بسلام وافتهم هزة أرضية تابعة للزلزال.

سألت فيروز ببراءة ما كان يثير فضولها،وحاولت إخفائه من قبل:

ممكن أعرف بقى كنتم بتتخانقوا ليه؟

توقف باسل مرتبكًا، ولم يعد له حق ترجمة كلامها كما يحلو له، فقد سألت بالإنجليزية، فأتاها الرد من روهان مباشرة، بكلمات مختصرة حرص أن ينطقها ببطء حتى تفهمها بنفسها:

أعتقد أن باسل يغش.

إنت تقولي كلمات، هو يترجم شيئًا آخر.....

أصابها الذهول....هل يعقل هذا! هل انخدعت بكلماته من جديد وهو تعمد كل شيء. هل يكره الإسلام إلى هذا الحد! هل هو ضحية تشدد البعض أم يتخذهم كمبرر لمعتقداته!.....

نظرت إليه في لوم وعتاب وأسى:

كنت بترجم لروهان غلط؟

رفع رأسه وأجاب دون تفكير:

-لا مش كل .....ثم ارتبك وصمت.....أدان نفسه، فدان لها باعتذار،فدنا منها محاولاً، لكنها استوقفته بكفها وقالت:

بس لحد كده كفاية. وبتقول إنك عايز تساعدني! ولا تساعد نفسك إنك توصل الصورة اللي إنت راسمها للإسلام. تلاقيك إنت اللي كنت متفق مع الناس تظهر كل مصايبنا مرة واحدة. وأكيد إنت اللي جبت الراجل يعمل بي بي عند السور....

قاطعها على الفور:

لا لا لا إيه الأفورة دي. الناس مش محتاجين حد يوصيهم هما مبدعين لوحدهم.

افهميني بس...

قاطعته هي هذه المرة في حسم للأمور:

باسل كفاية لحد كده.

شاكرين خدماتك. ولوسمحت مش عايزة أشوفك تاني.

من بكره أنا اللي هكون مع روهان لوحدي، أعبر عن نفسي وأفكاري بنفسي.....

وهمّت بالرحيل، فاستوقفها:

ـ رايحة فين بس تعالي.

=ملكش دعوة همشي.

ـطب تعالي أوصلك.

=مش عايزاك توصلني.

ـأوعدك مش هفتح بقي طول السكة.

=لا أنا هركب أوبر.

ـاعتبريني أوبر، واهوروهان راكب معانا، زبون ومحرم وكل حاجة.

ثم قال بنبرة أكثر جدية، تحمل بين طبقاتها حزن وألم:

ومن بكرة مش هتشوفي وشي تاني زي ما انت عايزة.

صمتت وقبلت، وركبوا السيارة. نظر باسل لروهان معاتبًا، وقال:

إيه مش مضايق المرة دي من كلامنا بالعربي، ولا عجباك الخناقة. هز روهان رأسه وكتفه وكأنما يقول له: إنت اللي جبته لنفسك أنا مالي.

ارتفع صوت حديث النفس في رحلة الرجوع، وانعدم صوت التواصل بين البشر والتعارف بين الشعوب. لا أحد يتحدث للآخر، كل غارق في حديثه لنفسه وإعادة ترتيب أوراقه، وإعادة اختبار أفكاره ومعتقداته.

كلٌ يحاول تقبل نفسه، قبل أن يتقبل الآخر.....

***

الفصل الثالث عشر

اليوم الثالث

أنا يوم جديد .....

أتشوق لتنفيذ وصية أجدادي، الأيام من قبلي، سأكملها حتمًا، سأكمل قصة فيروز.

في المعاد المحددوقفت فيروز أمام الفندق لليوم الثالث على التوالي، تبدوا أكثر ثقة.هل ستمضي اليوم معه وحدها، ألن تتوتر، تتردد!! وماذا عن الترجمة، ماذا ستفعل؟ هل فكرت في كل ذلك أم أنها تتحدى نفسها أنها تستطيع بدونه.

يبدوا أنها لم تفكر في شيء، وتدافع كله إلى عقلها مرة واحدة، حينما رأت روهان أمامها. لكن الأمر الواقع هو خير معلم، والألم هو خير مقوي.

فقالت بنبرة أكثر ثقه:

namaste

ابتسم روهان وبادلها التحية على الطريقة الهندية.

يبدو المشهد مكررًا،غير أنهم استبدلوا سيارة باسل بسيارة كريم الأجرة.

ركبت فيروز السيارة وركب روهان بجوارها وتساءل في حماس،إلى أين ستأخذيني اليوم؟ أرجو أن تكوني أكثر توفيقًا من الأيام السابقة.

ابتسمت فيروز وقالت:

سنذهب اليوم لمكان مختلف.

إنه مختلف تمامًا، فستأخذه فيروز إلى إحدى الأحياء الشعبية القديمة، فالأمل في بساطة أهلها وفطرتهم السليمة، في ابتسامتهم رغم ظروفهم، في الخير الوفير والبركة رغم قلة الرزق. في احترام الكبير، والنبي وصى على سابع جار، والأمان للأطفال في الشوارع وألعابهم البسيطة التي يصنعوها بأيديهم.

حاولت فيروز أن تخبره كل هذا قدر ما استطاعت مع عودة للاستعانة بجوجل للترجمة. حتى بدأ يرتجف كلامها ويهتز مع

اهتزاز السيارة فوق المطبات،وبداية ضيق الشوارع وتغير تضاريس الأرض، كما تغيرت الأحوال الجوية والاقتصادية معلنة وصولك إحدى المناطق العشوائية.

ولم تعد السيارة قادرة على الوصول إلى أعماق هذه النفوس البشريه، فكان عليهما التوقف وتكملة المسيرة سيرًا على الأقدام، مستكشفين بأنفسهم آثار هذه العوامل على قواهم العقلية والنفسية.

قالت في حماسة وأمل وثقة:

تأمل كل ما حولك هنا ستجد أخلاق المسلمين، وطيبة أهل مصر.

ثم انخفض صوتها قليلاً وهي تتأمل أيضًا ما حولها.

يقف على ناصية الشارع شابان تتحدث الشقوق المنتشرة على وجوههم من أثر جروح قديمة، عن تاريخهم الأسود. وتتحدث ملابسهم البالية عن حالهم المنحدر من سيء إلى الأسوأ. تخترق نظراتهم الثاقبة جسد كل امرأة تمر أمامهما وكأنها جهاز تفتيش على بوابة إحدى المراكز التجارية غير أن عيناهما تفتش عن شيء آخر.

مرّت فيروز وهي تتأذى وتتألم من انتهاكهما سترها وخدشهما حياءها. فياليت كل رجل يسمع ما أستمع إليه أنا والأيام منقبلي، صرخة قلب الأنثى في هذه اللحظات التي تمر كالدهر، وتُحملهنّ بإحساس القهر.

تخطّت فيروز الألم النفسي وخطّت خطواتها مع روهان إلى منتصف الحي تمامًا. وأصبحا في قلب الأحداث يتأملان ويتألمان،حين اختلط صوت صراخ طفل العاشرة الذي ضربه صاحب ورشة السيارات التي يعمل بها، مع صوت بائع الروبابيكيا وهو يحاول أن يرفع صوته فوق صوت بائعة الجرجير التي تحاول التشويش على صوت ضحكات الصبية العابثين وهم يعذبون قط الشارع الذي بدى مواءه ضعيفًا أمام ضربات بائع الغاز على أنابيبه التي كادت تنفجر مع انفجار صواريخ الصوت التي ألقاها أحد المراهقين المغيبين داخل سيارة وأحرقت ملابس ركابها وأفزعت قلوبهم التي على صوت دقاتها فوق كل الأصوات وكأنه الصوت الوحيد المسموع.....لولا صوت سقوط كيس القمامة من إحدى الشرف، والذي كاد يسقط على فيروز، فارتطمت بروهان وهي تحاول أن تتفاداه، فارتطم هو بدوره بأحد المارة، الذي توقف فجأة وتجمدت معه كل المشاهد كأنهم يلعبون تماثيل إسكندرية.

فالتفت الرجل إلى روهان بوجه لا يدل أبدًا على الخير، ونظر له في ازدراء، وقال بصوت يستجمع حروفه بصعوبة:

مش تحاسب

رد روهان بلباقة:

Sorry

لم يلحظ الرجل الغريب لباقته وقال:

وكمان بتبرطم بالانجليزي إنت بتتمسخر عليَّا.

أسرعت فيروز لتهدئة الموقف:

خلاص إحنا آسفين هو ميقصدش.

لكن دائمًا إجابتهم غير مناسبة وغير مقنعة بالنسبة له:

وكمان بتخلي الحريم تتكلم بدالك.

حاولت فيروز التوضيح:

هو مبيعرفش يتكلم عربي فمش عارف يرد عليك.

ـوكمان أجنبي! وجي هنا تعمل إيه؟ تصور حالنا اللي يا حرام يصعب على الكافر، وتمنظر بيه قدام صحابك الأجانب.

ظنّت فيروز خطئاً أن الرجال المصري لا يعتدي على، ولا يتعدى الحدود مع النساء. فقالت في حدة:

خلاص بقى، خبط فيك واعتذرلك خلصنا.

أمَّا الرجل فكأنما وجد ما كان يبحث عنه، مبرر لافتعال الشجار فوقف في وجه فيروز وهو يصرخ:

إنت بترفعي صوتك عليَّا، أنا محدش يكلمني كده.

فلم يشعر إلا بلكمة روهان على وجهه تسقطه أرضاً وتبعثر منه الكلمات، التي جمعها بشق الأنفس.

أدركت فيروز أنهما في ورطة الآن فقالت:

خلاص يا روهان يلا بينا من هنا.

لكن رجل المشاكل كان له رأي آخر:

تمشوا! تمشوا إزاي، ده إنت أمك داعية عليك انهردة في صلاة الفجر بكل اللغات.

وقام من مرقده كميّت دبّت فيه الروح، وصفع نفسه على وجهه فخرجت آلة حادة من فمه، ربما هي كانت السبب في تلف مخارج حروفه. وأشاح بها في وجه روهان متلفظاً بأفظع الألفاظ، التي لن تجيد فيروز ترجمتها حتى للعربية.

لكن روهان تحلى بحماسة أبطال الأفلام التي يخرجها، وخرج عن صمته وبادره بوابل من اللكمات والركلات، وبدى كأنه يترجم لفيروز ألفاظ الرجل البذيئة حين تلفظ بشبيهاتها لكن على الطريقة الهندية، حتى أسقطه على الأرض للمرة الثانية على التوالي.

وهنا كاد يجن الرجل، فأطلق صفارته طلبًا للمساعدة ونداء للإمدادت، فوصلته أسرع من وصول سيارة الإسعاف، وغطى عين الشمس، مجموعة من الهاربين من العدالة، وتكاد ترى أيديهم وأرجلهمووجوههم، تشهد عليهم وتوثق جرائمهم، وتحذر أنهم مسجلين خطر. ويؤكد ذلك السيوف التي يحملوها بأيديهم والتي تثير تساؤل جديد في عقل فيروز: هل هؤلاء هم كفار قريش أم مسلمي مصر؟!

أفزع المشهد فيروز، مما جعلها تتراجع خطوات للخلف،فوقف روهان أمامها وحاول إحاطتها بيده، لكن أين سيخفيها وكيف سيحميها، بل كيف سيحمي نفسه.

وقف الرجل مفتعل الشجار وسط عصابته في تباهي وقال:

ها إيه رأيك دلوقتي وريني شطارتك يا.....

حاولت فيروز توضيح الأمر، فأطلت برأسها من خلف روهان وحدثتهم من وراء حجاب:

حرام عليكم ده هو اللي جر شكلنا واتهجم عليّا، يرضيكم راجل يتعدى على بنت في شارعكم.

.....لا صدى لكلماتها.....

فأدركت أنهم سيحمون ابن المنطقة سواء كان على حق أو باطل.

وأدركت أن هناك الكثير من التغير أصاب القيم بداء عضال.

فلم يعد الصغير يحترم الكبير.ولا الشاب يصبر على رجل مسن حتى يخطوا بخطواته المرتعشة عابراً الطريق.ولا يجد أحدًا مبررًا ليقوم من مكانه في الحافلة من أجل امرأة، هي من اختارت الخروج للعمل ومزاحمة الرجال في الطرقات. ولم يعد يرى الرجل فرقًا في مشاجراته بين رجل وامرأة فهي من طالبت بالمساواة.....

أفاقت من حديثها الوهمي عن المبادئ، على صوت السيوف وهي تستعد للهجوم، وروهان يحاول حمايتها ويستعد للقتال. ثم فجأة تغيرت ملامحه من الصرامة والجدية إلى الارتياح، ورسم ابتسامة كبيرة أنارت وجهه كأنما رأى شيئًا من ريح الوطن. نعم لقد رأى، رأى مركبة أرضية تبدوا كأنها نتاج علاقة نشأت بين سيارة جيب ودراجة نارية.....فأنتجتال(توكتوك) هندي المنشأ، رآه يتخطى الصفوف ويصيح سائقه:

إيه يا جدعان، الناس ضيوف عندنا عيب عليكم محدش يقرب منهم.

ثم وجه كلامه للغريبان عن المنطقة:

يلا اركبوا بسرعة.

أسرع روهان وفيروز إلى طوق النجاة الملقى أمامهم وانطلق بهما مسرعاً خارج حدود تلك الدويلة المصرية..

تنفست فيروز الصعداء، وشكرت السائق بشده:

إحنا مش عارفين نشكرك إزاي لسة فيه خير الحمد لله.

فقال:

لا أنا أصلي كنت مصدع ومش طالبة معايا يبقى فيه خناقة دلوقتي.

صمتت فيروز في ذهول.

فتابع ضاحكًا:

بهزر معاكي متخافيش، انتوا صعبتو عليَّا بصراحة شكلكم ولاد ناس ومش حمل بهدلة.

هو الأخ مبيكلمش ليه، شكله مش من هنا.

فقاطعته فيروز:

لاااا ده من هنا جدًا، مصري ومسلم ومتدين، مبيفوتش فرض ده حتى صايم انهرده عشان كده ممتنع عن الكلام.

أعجب السائق بكلامها ونال روهان رضاه:

بسم الله ما شاء الله والله الإيمان باين على وشه. يلا طريق السلامة متنسناش بدعوة حلوة على الفطار يا حج.

ترجلا من التوكتوك، وفيروز تردد طبعًا طبعًا متشكرين أوي.

.....

لم يصدق روهان ما وصلوا إليه وهو يستجمع شتات عقله بعد ابتعادهم عن منطقة الخطر. لكنه حاول تملك أعصابه وسألها بهدوء مصطنع وهو يضغط على كل حرف ينطق به:

متى كانت آخر زيارة لك هنا؟

وردت في خجل: منذ الطفولة أعتقد.

فأجاب في عصبية:

Atcha _

_ آه آتشا بقى، وأنا هعمل إيه يعني أديني بحاول.

نظر إليها في يأس، لا فائده من إصرارها على التحدث بالعربية، مثيرة فضوله لمعرفة ما تقول، خصوصًا وهي تصيح وتثور،هل توجه إهانة أم ماذا.

أمَّا فيروز فهكذا قضي عليها، هزيمة تلو هزيمة.

أين عليها أن تبحث عن الإسلام ؟! هل تعبر به الزمن ليرى عهد المسلمين الأوائل ؟!

ألا يوجد أثر واحد تبقى من أثر الرسول؟!

هل الفقر هو سبب هذا الكفر والجحود الذي أصاب الناس، أم أن الكفر والجحود هم سبب الفقر الذي هم فيه؟!

هل نلتمس للناس العذر في عدم حملهم همّ الإسلام، فيكفيهم ما يحملون من هم الرزق؟

لكن من أخبرهم بأنّ عليهم حمل همّ الرزق من الأساس.

ألم يتكفل الله بذلك!ألم يأمرهم بالسعي فقط ؟! ألم يعدهم برزق كرزق الطير، وما عليهم إلا أن يسلموا أنفسهم بين يدي الرحمن كما تفعل هي.

كما أنّ الرزق هذه الأيام، لم يعد مقتصرا على لقمة العيش والطعام والشراب. فحاجات الناس الأساسية تمددت، فهناك من يحمل همّ أنّه مازال يستأجر منزل ولا يمتلكه،وهناك من يحمل همّ مصاريف المدارس الأجنبية التي احتلته، وهناك من يشعر بالنقص لعدم امتلاكه شاليه في الساحل الشمالي حتى الآن .

لكن ماذا عن هم رزق الستر والصحة، رزق البركة وراحة البال، ألا يوجد من يحمل همّها!

هكذا اختصرت فيروز المسافة بين الحي الشعبي والكافيه الذي وصلا إليه سيرًا على الأقدام وكلٌ شارد في أفكاره.

فما كان المخرج أفضل حالاً منها، فقد حيّره أمر فيروز كثيرًا. ماذا تريد أن تثبت له؟ هل حقًا كل ماتسعى إليه هو تحسين صورة الإسلام أم ما يشغلها هو نشر روايتها؟

هل تسعى لانتشار الإسلام أم شهرتها هي؟!

لماذا تفكر فتاة في عمرها بهذه الطريقة؟ لماذا لا تترك أمر الإسلام للعلماء وتكتفي بأمرها؟

ماذا يشغل عقلك يا فيروز؟ ولم لا يكتفي قلبك بالتفكير في الحب كالفتيات في مثل عمرك؟ ولماذا يفكر مثلي في قلبك، إذا كنت على يقين أن ما يحتل قلبك لا يمكن أن يمر بجوار قلبي.

لم آت لأعلن إسلامي على يديكي يا فيروز. لم آت لأتعاطف معه حتى.

جئت فقط لأرى مبرر لعنف المسلمين، ليطمئن قلبي أنكم تستحقون ما يُفعل بكم، لأرى بعيني مكان ميلاد الإرهاب وكيف ينمو ويكبر.

ففي الغرب تدّعون الضعف والسلام، تجيدون هذا الدور باحترافية، كما تجيدون ممارسة العنف هنا بلا رحمة.

كم أكرهكم، فإذا كنتم تفعلون ذلك بأنفسكم، فما أنتم فاعلون بنا!

لكن لماذا لا أشعر بهذا الكره تجاهك؟ لماذا أرى فيكي وجهًا آخر للإسلام!!

.....

قادتهما خطاهما إلى إحدى طاولات الكافيه،فتح لها الكرسي لكنها كانت سحبت كرسي آخر وهمت بالجلوس، فارتبك روهان ولاحظت إحراجه، فتقدمت لتجلس في الكرسي المدعوة له لكن فات الآوان كان روهان يتأهب للجلوس عليه، لتحرج هي تلك المرة،فعادت الى كرسيها سريعًا قبل أن يلحظ. استقرت في الجلوس أخيرًا، فنظر إليها في شفقة وقال ممازحًا:

well, next ـ؟

ابتسمت ابتسامة هزيمة، وقالت:

ـبقى غريب أوي ما بينا.

الغدر جيّ له من كل ناحية،

أهله بيتكسفوا منه والغرب يخافوا منه.

قال في هدوء هذه المرة،أعتقد أن أربعة أيام في مصر لاتكفي لفهم اللغةالعربية.

اعتذرت مجددًا وحاولت إخباره بإحساسها بالفشل، أشفق عليها من قسوتها على نفسها.

فأخبرها أنها تحارب في قضية ليست قضيتها، وأنها لم تتحدث معه عن روايتها حتى الآن.وقال مازحًا فلتتركي من يرسم محمدًا يرسم وارسمي أنت صورة له أجمل بكتاباتك وإبداعك.....

هي تعلم هذه الكلمة بالإنجليزية جيدًا، نعم هي الرسومات المسيئة للرسول، ترددت كثيرا بكل اللغات على مواقع التواصل الاجتماعي حينها، وهنا انقلب السحر على الساحر واختفت كل الحسابات والتعقلات، هنا تعدّى الحدود وتخطّاها أكثر مما يتصور.

فاستحقها أكثر من أي وقت مضى، فصرخت بها فيروز في وجهه:

.....Don't touch

-Fayroz, I didn't this time.

-No, don't touch my believes,

My religion,

Don't touch Mohamed, peace upon him

لو سألت كل الناس اللي انت شايفها دي مش بطبق الدين صح، لو سألتهم عن محمد هتجاوبك دموعهم قبل كلماتهم عن حبه.

الشخص الوحيد المجتمعين عليه.

صحيح بنقلد الغرب في كل حاجه وسايبين سنته، منبهرين بيكم لأننا محبطين مش عارفين نبقى زيكم، مش قادرين ننافسكم في علم ولا تقدم فبنقلد الأسهل، انفتاح شرب حريه، أي حاجه تحسسنا إن لينا قيمة،

بس بنحب محمد. ضللنا طريقه، فقدنا آثار أقدامه، لكن بنحبه.

بنحب حنيته علينا، رحمته بينا، شوقه إلينا.

الوحيد اللي شايل همنا، الوحيد اللي هيقول أمتي أمتي.

ضللنا طريقه حتى واحنا بندافع عنه، بنفقد السيطره، مشاعرنا بتغلبنا،

بنتصرف بهمجيه وعنف،لا عندنا حكمهولا موعظة حسنة.

نسينا إنه كان رحمه للعالمين مش بس للمسلمين.

نسينا نكمل رسالته من بعده،

بس بنحبه وكل أملنا، شفاعته .....

كلمات قالتها بدموعها والدموع ترجمت المشاعردون الحاجه إلى ترجمة الأحرف.

فلم يسأل عن الترجمه كعادته، ولم يوبخها على التحدث بالعربيه، وقال:

أعتذر بشدة. أرجوكِ لا تبكِ. مشاعر كل مستقلبي دون حتى أن أفهم ما تقولي.

وانتبه أنت من لمسقلبي هذه المرة.

So,don't touch me

قالها مداعبًا، ثم سألها مستنكرًا، وكيف لمثلي أن يعرف عن الإسلام إلا من المسلمين! وهو لا يرى منهم إلا التعصب والعصبية والتكفير وإباحة الدماء. ورأيتي بنفسك كيف كانت كلمة هندوسي هي الكلمة السحرية للتحول، التحول من الترحاب إلى العداء.

.....

أومأت مصدقه على كلامه رغم أنها لم تفهمه كاملا، لكن بعض الكلمات كانت كفيلة أن تجعلها تنتبهأنه حقا محق. نحن جزء من المشكلة.

(ليه عايزين الناس تشوفنا بصوره غير اللي احنا عليها،وليه ساعات إحنا اللي بنتكسف من دينا وبنحمله سبب تخلفنا.وليه عندنا إحنا طقوس الدين وعند الغرب أخلاقه، ليه عندنا إحنا مظاهر العباده وعندهم هم روحها، ليه عندنا إحنا الإسلام وعندهم هما المسلمين).

أعادها روهان منشرودها عندما قال لها محاولاً تغيير الموضوع إشفاقًا عليها:

أين ذهبت، هيا أخبريني متى سأرى روايتك؟

Ha polo

نظرت له فيروز في دهشه، فقال مبتسمًا:

Polo تعني أخبريني.

لم يكن سبب اندهاشها هو كلمته الهندية لكن كلمة رواية مضاف إليها ضمير الملكية، هو يتحدث عن روايتها هي.

وكان مازال هناك دمعة حبيسة في عينها فنزلت بطعم جديد، بطعم الفرح، بطعم الحنين لهذه اللحظة،لحظة أن يرى روايتها. لكن ما أصعب أن تأتي الأحلام في الوقت غير المناسب، فتطفئ لهيب الشوق لها وتميت إحساس الفرحة بقدومها.فكان عليها إعادة ترتيب أوراقها بعد ما حدث. شعرت أنها وجدت آخر قطعة بازل واتضحت الصورة كاملة وعليها ترتيب القطع الآن بالشكل الصحيح.

كانت تحتاج إعاده النظر في روايتها من جديد.....

***

الفصل الرابع عشر

ليلة اليوم الرابع

عقل فيروز

ستكون ليلة طويلة اليوم، أطول ليلة لي مع فيروز.....

(أخيرًا قالها،قالي هاتي الرواية،

هاتي حلمك أخليه حقيقة،

مش عارفه ده تعاطف معايا ولا رغبه حقيقية.

بس مش مهم،مش ده سبب طول الليلة.

الليله هطول بطول السنين اللي عدت على المسلمين بين ظالم لنفسه ومظلوم،

بين خلاف واختلاف،

بين مذاهب وجماعات،

بين تزييف حقايق وتحقيق أوهام،

بين الإرهاب والدفاع عن النفس،

بين كل كلمة وعكسها، وكل فتوى وضدها.

بين كل دولة وحدود أرضها.

وكل فرقه وأختها وبنت عمها واللي يتشدد لها ....)

أخذت هاتفها، واتصلت بسارة لعلها تشاركها السمر هذه الليلة. أجابت سارة بصوت منخفض:

هنيم الولاد وارجع أكلمك.

من الواضح أني سأمضي الليلة وحدي في صحبة فيروز وثرثرتها. فمن المؤكد أن سارة ستستسلم للنوم قبل أطفالها الأبرياء. فيروز هاتي ماعندك.

واضح إن روايتي محكوم عليها بالفشل.

لو نشرتها في الوطن العربي مين هيشتريها، ولو نشرتها بره مين هيصدقها. ولا أحط عليها شوية بهارات رومانسية وابقى كسبت قلب العربي وعقل الأجنبي.

أناعايزه أقول إيه؟!

إن الإسلام بريء من الإرهاب، طب والمسلمين؟! أبرياء فعلاً؟!!

الحقيقة أن الإسلام بريء منّا إحنا ومن أفعالنا، بنكفر ونلعن ونحرض على العنف بقصد ومن غير قصد. وأما يحصلنا حاجه نلوم على الدول العظمى إنها مش بتعمل حاجة، زي اللي عنده مشكلة في شركته ويطلب مساعدة من الشركه المنافسة.

وأمَّا نحب ناخد حقنا ناخده من حد تاني مش اللي أذانا، إنت بتضربني وانا مش طايلك طب هضربلك ابن عمك !! أي منطق ده.

السياسة هي اللي ضيعتنا وتوهتنا ولخبطتنا، السياسة بحر من الظلمات غرقنا كلنا فيه.

يبقى هشطب الجزء اللي بيتكلم عن السياسه والمؤامرات من الرواية.

طب والفصلين اللي عن إسرائيل ؟

إسرائيل هتفضل خنجر مطعون به جسد الأمة.

وهتفضل كلمة القدس والأقصى وفلسطين هي جرحنا المستمر في النزيف، مهما تعايشنا مع ألم الطعنة وتناسيناإن الخنجر لسه

راشق، هيجي وقت يلفظ الجسد الجسم الغريب ونداوي جروحنا بعده.

لكن إسرائيل زيها زي الشيطان، الظاهر إنه طلع آدم من الجنة لكن الحقيقة إنه كيده ضعيف، وكلمة واحدة تحرقه وتولع فيه، بس لما يقولها قلب مؤمن صادق، ولحد ما القلب ده يجي، هطلع إسرائيل من الحسبة.

كده شلت ٤ فصول من الرواية، أشيل كمان اللي حصل مع بن لادن وداعش والعراق وسوريا.

اممم متأكده إن دي كانت رواية مش نشرة أخبار.

يعني لما كان معايا الرواية مكنتش لاقيه حد ينشرها.ولما ألاقي اللي يخرجها للنور ملقيش الرواية!

الراجل فاضله ٣ أيام في مصر هعمل إيه؟

(وهنا جاء الصوت القوي، الذي يخفي وراءه حنية غير معلنة، ليقطع حبل أفكار فيروز كعادته)

ـإنت صاحية ليه لحد دلوقتي؟

=أبدًا يا ماما بظبط الرواية بتاعتي. فاكره المخرج اللي قلتلك هيقرأها ولو عجبته هيعملها فيلم.

ـواحنا بتوع الكلام ده برده.

=احم كلام إيه بالظبط، رواية، فيلم، ولا يعملها.

ـبتوع تقابلي ده وتكلمي ده. هو كلمك إزاي.

همست فيروز:

(لا ما إنتي مش واخده بالك أنا اللي جاياه أصلاً)

=إيه عادي يا ماما اتقابلنا ف...

ـقابلتيه! فين وازاي؟

=إيه يا ماما مش كنت في فوج الكلية اللي استضافه، نسيتي.

ـخرجتي معاه؟

=يعني يا ماما، بنتقابل في أماكن عامة، بنتكلم في شغل.

ـلوحدك؟!

=ساعات مبيبقاش في حد فاضي.....

ـيانهار مش باينله ألوان، وده هيكتب عليكي إمتى؟

=إيه الكلام ده! ده مش مسلم أصلاً اطمني.

ـإنت كده بتطمنيني. ملته إيه ده؟

=احم احم هو تقدري تقولي بيعبد حاجة كده شبه الكفار، بس قدرت أقنعه بقضية الإسلام، وهيعمل فيلم عنه تخيلي يا ماما قدرت أخلي.....

ـيالهوي كافر وانت صدقتي إنه حب الإسلام على إيدكي.ده آخره هيضحك عليكي ويرميكي إنت وروايتك.

=إيه يا ماما ده.إنت فاكراه عربي متخلف.

ـأمال أجنبي؟

=إيه.....لا هندي

ـوكمان هندي!

(لا كده كتير لو اعرف الكلمات اللي بتسخنك إيه قبل ما أقولها)

=يا ماما افهمي.....

ـخلص الكلام مفيش خروج من البيت لحد لما اشوف الموضوع ده مع أخوكي.

كالعاده تقول هذه الجملة، وهي تخرج من الغرفة منهية النقاش.

وعادت فيروز لحديثها العميق:

كده الليلة ملهاش آخر، عارفة إني من عيله محافظه متدينة، لكن طول عمري بشك في دينهم، قصدي يعني بشك إن في مسلمات عندهم مش في الدين أصلاً.

بحب ديني ونخورة بيه ومعنديش مشكلة في كل أوامر ربنا وتكاليفه، بحسه كله رقي وعظمه، لا بتكسف من حجاب ولا شايفاه حرمني من حاجة،حتى حدود العلاقه بين الولد والبنت حاجه شيك كده وتحفظ النفوس والقلوب من مشاكل كتير.

معنديش مشكله في تعاليم ديني بس..... اتأكد إنها منه الأول.

عندي مشكله من منعي من السفر بحجة مفيش أمان أو محرم، لا حضرتك وفرلي الأمان وأسافر.

مش مفروض عليه صلاه في الجامع لكن لما أحب أروح ماحدش يمنعني.

لما تخاف عليّه وفر لي الظروف اللي تطمنك متستسهلش وتمنعني، وتحرمني حقوقي في الحياة، وتوأدني حيه .....

ربنا يحافظ علينا مش يحرمنا حقوقنا.

مشكلتي مع علاقه، تبقى عيب وحرام لو بتكلم بنت، وتبقى شقاوة وخبره لما تشجع ولد.ده اللي أكيد مش في ديني.

اتبعتم دين جديد يا مسلمين!!

وفجأه قالت:

هو أنا كنت بفكر في الكلام ده ليه دلوقتي؟

(من أجل منعك من الخروج غدًا عزيزتي)

أه صحيح هعمل إيه دلوقتي، أنا خلاص تعبت، هعتذر عن الموضوع كله.

تمكن اليأس منها فأرسلت تعتذر لروهان عن لقائه يوم غد، وعن إضاعته معها كل هذا الوقت، وعن رواية كانت تظنها رواية تستحق النشر.

أتاها رد روهان سريعًا يطلب منها أن تكف عن هذا الهراء، وأن تأتي غدًا ليتحدثا في الأمر. ولم يصدق أنها بخير حين أخبرته أن والدتها منعتها من الخروج،ورأى أن عليه أن يقوم بفعل شيء أكثر نفعًا من مجرد الاطمئنان عليها بإرسال إيميل، شيئًا أكبر بكثير، وربنا يستر.

.....

صاح ديك اليوم الرابع مؤذنًا بميلاد يوم جديد وبالطبع على عملنا شهيد.

استيقظ الناس، ونامت فيروز بعد صراعها الطويل مع النفس وجلد الذات، والسخط على مجتمع بائس، وإجابتها إجابات نموذجية على الأسئلة الوجودية، نامت أخيرًا حتى استيقظت على احتلال أجنبي في بيتهم وكأنها تستمع إلى تتر مسلسل في بيتنا رجل.....رجل هنديّ.

أمَّا أنا فسأتركها تواجه بعض المتاعب من غيري، وسأفصل قليلاً، فلم أعد قادراً على التركيز. وبدأ الهذيان يزورني من جديد فكأني أستمع الآن لآلة حادة تتحدث.

.....

المطوة:

عشت عمر طويل في جيب هذا الشاب ذو الرائحه الكريهة المدعو عربي، رائحة قمامة ممزوجة برائحة خمر وحشيش، على بصل وثوم، مع كثير من رائحة الدم.....

طعنتُ الكثير بيديه، لكن لم أحب عملي يومًا ما كما أحببته اليوم.....وقف عربي عند باب شقة خالته، التي تشمئز منه دائمًا وتحاول إبعاده عن حياتها، وحياة ابنتها فيروزبسبب سمعته وأخلاقه التي لا تتناسب مع انتمائه لهذه العائلة الكريمة.

ويعتبره الجميع خراج متقيح في جسد العائلة، يجب أن يكوى ويسحق وينتهي أمره. ووعدتهم والدته المبتلاه به أن تكون هي الطبيب المنفذ لهذه الجراحة يومًا ما.

لكنه لا يمل ولا يكل من القدوم لبيت خالته على أمل أن تقبله زوجاً لابنتها فيروز. وهو ماتوعدت أنه سيحدث فقط على حطام جثتها. ربما لذلك السبب يحملني دائمًا، أملاً أن ينفذ لها شرط قبولها زواجه من ابنتها يومًا ما.

وهاهو يقف من جديد أمام باب بيتها، ويهم في دق الجرس، حين سمعنا هذا الضجيج من الداخل. كانت خالة عربي تصيح:

ـبتقول مين؟! وجي هنا بنفسك يادي الفضايح.

لنسمع صوت رجل غريب اللهجة واللغة يقول:

Where is Fayroz?

ـمتجبش اسم بنتي على لسانك.

ثم تدخّل في الحوار طرف ثالث بصوت جهوري متسائلاً:

ـمين ده يا ماما؟

=حسن، تعالى الحقني ده واحد بيسأل على أختك، كانت بتقابله من ورانا الهانم.

ـبتقولي إيه!

وصرخ مستدعياً فيروز، وهو يردد مين ده يا فيروز؟

انتصر صوت فيروز على تلك الأصوات المزعجة أخيراً وهي تقول:

ـهفهمك يا حسن. ده مخرج أجنبي جي ع.....

=مخرج! وأجنبي!! وعارف عنوانك إزاي، كان بيجيلك واحنا مش هنا ولا إيه؟

ـاحترم نفسك يا حسن عيب.

=ليه حضرته متدين ما شاء الله.

فأشعلت أم حسن الأحداث وهي تقول:

متدين إيه دي بتقولك هندوسي.

ردت فيروز:

استري على الراجل يا ماما مش كده.

بينما وجد حسن هذا مبرر كاف لبدء الاعتداء فقال:

بتقولي إيه! طب تعالالي بقى.

وتعالت الأصوات المختلطة ما بين صرخات خالة عربي المستنجدة، وصوت اللكمات المتبادلة بين حسن وذلك الغريب، (الذي بدأ

بالدفاع عن نفسه وعن فيروز الأسيرة لدى هذه العائلة المريبة من وجهة نظره والتي تمثل واقع مرير يشهده في كثير من أحياء الهند الفقيرة أيضًا، وتمنى دومًا أن يتبنى الدفاع عنهم في أفلامه، وجاءته الفرصة للانتقام الحقيقي منهم) وبين صوت كلمات فيروز المهدئة:

ـاستنى يا حسن اهدى شويه.هو هندوسي دي يعني دمه حلال حرام عليكم.

ثم تحدثت بلغة ولاد الناس مع هذا الغريب. لتثيربذلك فضول والدتها:

ـوكمان بتكلميه إنجليزي عشان منفهمش.

=ده انجليزي يا ماما أمال لو كلمته هندي. يا حسن خليه يمشي واحنا نتفاهم مع بعض.

لكن الوضع لم يهدأ وزاد صراخ خالة عربي. فلا داعي للانتظار أكثر من ذلك. فدق عربي الجرس دقات متتالية وكله أمل أن يقوم بدور بطولي، يقتل فيه الوحش، ويستميل قلب الملكة، ويسترد الأميرة.

افتحي يا خالتي أنا عربي.

فتحت الخاله الباب سريعًا وهي تستنجد به، وفيروز تطعن قلبه قبل أن يطعنها وهي تقول:

مكنش ناقصنا غير الواد المبرشم ده.

فتجاهل جملتها رغم ماسببته من ألم، وتساءل:

ـفي إيه يا خالتي؟

=واحد ولا ليه دين ولا مله جي يتهجم على بنتي.

ـده إحنا ندفنهولك هنا.

مد عربي يده الملوثة بالدماء، وأخرجني مطوحًا لي في الهواء، كفقرة استعراضيه قبل أن يتجه نحو ذلك الغريب من خلفه دون أن يشعر به، وهو منهمك في القتال مع حسن، ويوجهه لكماته على وجه.وأحكم عربي قبضة يده عليّ، وهممت لاختراق جسده والفتك بأحشائه، لكني حاولت التراجع في اللحظة الأخيرة، وأنا أراني أستقر في جسد طاهر، لعله يخلصني من آثامي.فقد أسرعت فيروز بالوقوف أمام عربي، وظهرها مستندًا إلى ظهر ذلك الغريب محاولةً منعه من فعلته. لكن فات الآوان وفشلت محاولتي في التراجع. اخترقتُ أحشاءها ولن يعود هذا الجسد كما كان قبل الطعنة أبدًا. فليس كل جرح يداوى، هناك ما يبقى له أثر لا يمحوه الزمان.

التفت الغريب نحوها على إثر صرختها والتقطها بين يديه قبل أن تسقط على الأرض، ووقف حسن دون حراك في ذهول، والخالة لا تكف عن الصراخ. أمَّا عربي الوغد فلم يأخذ وقتاً لاستيعاب ما فعل، وفرّ هاربًا، وتركني هنا مستقر أحاول ألا أتحرك حتى لا أؤذيها أكثر.إلى أن شعرت بيد الغريب تخرجني بحذر، فاستسلمت بين يديه لإنقاذ فيروز.

ونزع شال كان يلفه على رقبته ربط به الجرح ثم حمل فيروز على كتفه بيد واحدة، وأخرج مسدسه بيده الثانية، وقال كلمات مبهمة، مهددًا حتى لا يقترب منهما أحدًا. وهمّ بمغادرة المكان بفيروز،التي قالت بصعوبةقبل أن تغيب عن الوعي:

ـيابني إحنا مش في فيلم هندي، متأفورش دول أهلي شوية كده وهيروقوا.

وادي يوم كمان ضاع عل الفاضي.....

وظلت تردد في الوعي واللاوعي:

Don)t touch me

Don)t touch me

.....

خرج بها ولم يجرؤ أن يتبعه أحد. وبقيتُ أنا ملقىً على الأرض، أنزف قطرات طاهرة نقية، أتمنى ألا يزيل عربي آثارها مني أبدًا، وتكون آخر قطرات أتسبب في إراقتها وأتوب من بعد ذلك، وأتحول إلى سكين مطبخ صالح.

***

الفصل الخامس عشر

اليوم الخامس

الوِشاح

كم أعشق هذا الدور الذي أقوم به، التفافي حول خصل شعر فيروز بخيوطي الحريريه.فلا أريد أبدًا إلا أن أكون من الحرير حتى لا أؤذي بملمسي عذوبة مظهرها.أشعر أني أحميها، هي فتاة رائعة، أفخر بكوني جزءًا منها، فهي تزيدني رقياًوشموخاً. لم تلوث سمعتي يومًا، أرى نظرات الإعجابدوماً في أعين من يتعامل معها. أراهم ينظرون إليّ ويومئون برؤوسهم إقراراً، نعم قد فعلتها فيروز، كانت القتاه التي تريد، منطلقةمنفتحة على العالم،دون التخلي عني. لم تشعرني يومًا أني عائق في طريق طموحها.

ولذلك سأظل أحميكي، وأخشى أن ألتف حول عنقك فتشعري بالاختناق، فأفضل أن أنسدل قليلاً لتشعري بحرية أكثر وانطلاق أكبر وحماية مضاعفة. وحرصًا مني أن أقوم بدوري بالشكل المطلوب، أستعين بابنتي الصغيرة (باندانا) حتى لا تفارق خصلة من خصل شعرك خارج حدود مملكة فيروز الخاصة، الخاصة جدًا.

سأخفي بعض جمالك لأفسح المجال لعقلك للظهور والتعبيرعن نفسه.

سأحاول جاهدًا (وهذا ما لا أستطيع أن أعدك به)، أن أقنع عقل هذا النوع من البشر المسمى رجل، أني هنا أقف حائلاً بينه وبين أنوثتك. هاي أيها الرجل أنا هنا فلا تقترب من فيروز إلا كعقل تناقشه وعلم تستفاد منه. وإن اقتربت، وإن حاولت تخطي هذا الحد فسأحول خيوطي الحريرية إلى سياط تمزق جسدك، وسألتف حول وجهك عاصرًا له كما تفعل الأناكوندا، باحثاً عن وجود عقلا بداخله.

عذرًا، فإني أفقد أعصابي كلما فكرت أن هناك من يحاول المساس بفيروز. كما أني لست في أحسن حالاتي اليوم، أرى فيروز تتألم من جرح جسدها، وأشعر بحرارةرأسها من تحتي حتى أرهقتني، وأصاب بعض خيوطي الوهن فلم تقوى على مواصلة

مهمتها وبدأت بالانسحاب تدريجيًا من أماكنها. لكن لا لن أخذلها، سأحميها، فهي هنا وحيده في غرفة من غرف هذا الفندق الضخم ذو الخمس نجمات، ترقد في حالة إعياء شديدة ولا يوجد هنا سوى روهان، الذي أعلم جيدًا أنه يكرهني.

كيف استطاع أن يأتي بها إلى هنا، إلى غرفته؟ وكيف سأحميها منه الآن وأنا في هذه الحال؟!

يقترب روهان وأنا أحاول المقاومة، أحاول ستر ما ظهر من خصل شعرها المتناثرة.

يقترب أكثر، هل رأى ضعفي وقلة حيلتي؟

هل سأفارق فيروز اليوم بهذه الطريقة؟

يا إلهي تمتد يده إليّ.....لكن تبدوا لمسته أرق من أن تكون محاولة نفي، لم يدفعني للخلف بل تقدم بي للأمام.أعاد الخصل المتمردة لمكانها في هدوء، وأحكم إغلاق أبواب المملكة.

ووضع ضمادة المياه الباردة على جبينها، فهدأت حرارتها وهدأت معها خيوطي، وعاودت التماسك من جديد.

جلس بجوارها يتأملها، وبدأت تفتح عينيها، وسمع صوتها المنخفض يقول:

أنا فين؟

صمتت قليلاً، أغمضت عينيها، ثم فتحتها من جديد وهي تحاول أن ترى بوضوح، حتى بدأت تجمع صورة روهان المهتزة والمكررة لألف روهان، في روهان واحد. فوجدت نفسها بتلقائية تعيد سؤالها بالإنجليزية:

Where am i?

ابتسم روهان وقال: هل كان لا بد أن يحدث كل ذلك حتى تتحدثي معي بلغة أفهمها!

ولم يفكر هو في الإجابة ولا عواقبها فخرجت بتلقائية باللغة الهندية:

Mera kamra _

=ها

كمره !

sorry, I mean my room _

= بتسموها كمره دي شبه كلمه عندنا حساها عربي مش عارفه ليه.

ثم استوعبت معنى إجابته، بعيدًاعن تحليل مفردات اللغة، فقالت في فزع وهي تحاول القيام:

ـبتقول فين؟

طلب منها روهان أن تهدأ وترتاح فلم يكن أمامه خيار آخر، فعندما ذهب إلى المشفى أرادوا إبلاغ الشرطة، ففضل أخذها إلى مكان آمن خشيةً عليها من أهلها.

فقالت بنبرة متفهمة موقفه في البداية، واستمرت في التصاعد حتى وصلت لقمة غضبها في آخر جملتها:

ـأيوه وبعدين، ده إحنا كده بقينا مسلسل تركي حرام عليك، أعمل إيه أنا دلوقتي. الحكايه اتعقدت أكتر، يعني كنت بقول لحسن احترم نفسك إنه اتهمني إنك بتجيبلي البيت، دلوقتي أقوله عيب عليك متقلش كده ده أنا اللي بروحله.عايزهم يعرفوا إني طالعة في دور البطلة المصابة بالحمى والبطل بيداويها في بيته، وإنت أدرى بالباقي بقى.

فاض به الكيل وهو يعيد ما كرره مرارًا:

Speak in English , please

فزاد في انفعالها فصاحت رغم الإجهاد:

ـإزاي يعني؟

إزاي وأنا منفعلة هتعصب بالإنجلش، وأقولهالك إزاي (إنت أدرى بالباقي)؟! هه إزاي!

ثم هدأت رغمًا عنها من ألم الجرح، وقالت بحكمة أكثر:

ـلا أستطيع التحدث بالإنجليزية وأنا غاضبة.

قال مبتسمًا:

its ok-

وحاول التخفيف عنها:

ماذا عن اللغة الهندية ربما تكون أسهل من الإنجليزية.

اندمجت معه في دراسة اللغات وقالت:

ـأه فعلاً أنا لاحظت دلوقتي إن في كلمات شبه بعض أوي في العربي والهندي. وده معناه إن الشعوب بتتأثر ببعض. عارف بحس إن كل اللغات في بينهم حاجة مشتركة مهما كانت بسيطة، في همزة وصل بينهم ومتأكدة إن ده سببه إن كل اللغات أصلها لغة واحدة، لغة آدم.

نظر روهان للسقف مخرجًا نفخة يأس دون أن يعاتبها. ثم نظر لها مظهراً فهمه لكل ما قالت.

فأشارت له فيروز معتذرة:

sorry sorry _

أنا أصلاً بقول كلام ملوش أي تلاتين لازمة دلوقتي.

وسادت لحظة صمت حاولت فيروز فيها تفقد أحوالي بيديها، فالحمدلله أنها لم تلحظ ضعفي ورأتني صامدًا في مكاني. فأعادت ترتيبي وحاولت القيام من جديد لكن لم تقوَ وأسرع روهان إليها محاولاً المساعدة، لكنها بكل توتر رددت جملتها ليرددها معها:

don›t touch me

ابتسما الاثنان، وطلب منها روهان أن ترتاح قليلاً وكل شيء سيكون على ما يرام.

ثم نظر إليها مشفقًا عليها مما تُحمِّل به نفسها من هموم وأفكار، وقال:

لو كنت تسمحين لي كنت أمسكت يدك الآن لأطمئنك. ولكن سأحترم دينك، سأحترم معتقداتك، لأني أحترمك فيروز.

ابتسمت. فأخيرًا جنت ثمرة كانت تنتظر حصادها، جنت الاحترام.

كما أخبرها بأنه استدعى ممرضة ستأتي لتمريضها، وأنه حجز الغرفة المجاوره لها ليقيم فيها.

ـاطمئني كل شيء سيكون على طريقتك.

لكنه استسمحها أن تأذن له بالتغير على الجرح، لأن الممرضه مازال أمامها ساعتين على الوصول.

لم تستطع الرفض ولم تجرؤ على القبول. فاكتفت بإدارة وجهها وهو استخدم نفس حياءها، فلم يكشف إلا القدر الذي يسمح له بتغير ضمادات الجرح، وسألها حتى يلهيها ويهدأ من توترها:

ـلماذا أنقذت حياتي؟

=ليس من أجلك..... من أجل الإسلام.

تعجب من إجابتها، فأوضحت:

ـلو سبتك تاخد الطعنه ولا كنت هعرف أبرأ الإسلام من الإرهاب ولا أثبت إن أنا وأهلي مش إرهابيين.

وغابت عن الوعي مجددًا، لا أعلم من إرهاق الجسد أم إرهاق العقل بهذه الأفكار الثقيلة.

.....

كادت عين الممرضة فتحيه تخرج من مكانها وهي تنظر حولها مبهورة بجمال فنادق الخمس نجوم.

ـإيه الفخامة دي مش المستشفى الكحيانة اللي بمرض فيها. لا وكمان ممثل وبنت مضروبة مطوة، وقاعدة في أوضته، إيه جو الأفلام ده.

اسكت يا لساني دي بتفوق.

فقالت محاولة استمالة قلب فيروز لها:

ـمين اللي يقدر يأذي الملاك ده.

فتحت فيروز عينيها لتجد وجه فتحية يحجب رؤية أي شيء آخر أمامها، فأجابت:

=الشياطين كتير.

ـألف سلامه عليكي. بس سيبك إنتِ كفايه ينقذك واحد مشهور كده وقمر.

=ما تقوليلي يا بختك.قولي والله عادي متتكسفيش. عقبالك كده إن شاء الله.

فقالت فتحية وهي تمصمص شفتاها:

ـوانت أهلك بقى عرفه ولا لسه؟

فانتفضت فيروز:

=أهلي. هو فين روهان، فين؟ ناديه بسرعة.

قامت فتحيه على مهل:

ـحاضر، هخبطلك عليه.

وهي تمتم:

(هو إنت كمان كنت ناسيه أهلك، أستغفر الله العظيم يارب)

يا أستاذ روهان، كام كام بليز.

دخل روهان في لهفة للاطمئنان عليها، وسألها عن حالها فقاطعته:

ـأريد التحدث معك.

ha polo=

ارتبكت فيروز وقالت:

ماذا سأفعل الآن؟ وماذا سأقول لعائلتي؟

هل يعقل أني في غرفتك الآن؟

واستكثرت ما قالت بلغة ثقيلة على لسانها، فنفّست عن نفسها لتعبر بأريحية وقالت:

يا فرحتي.

فتمتمت فتحية متصيدة الأخطاء:

ـفرحتك! وهتعملوا فرح كمان مش مكسوفين من عملتكم.

حاول روهان تهدئتها وأخبرها بتفهمه الموقف.

لم تعجب كلماته فيروز، ولم تعجب فتحيه أيضًا:

ـوإيه الحنية اللي بتتكلم بيها دي.لو كان راجل مصري دلوقتي والحته بتاعته بتكلمه كده كان شكمها.

فلجأ روهان للحلول العملية، وأخبر فيروز أن لديه حلاً للمشكلة.

واقترح عليها أن يتحدثوا للإعلام، نعلن عن أمر العمل المشترك بيننا، وعن سوء تفاهم حدث في بيتك وينتهي الأمر. وهذا ما رفضته بشدة.

فاضطر أن يتحدث بحدة، مذكرًا لها أنه لم يتبقى سوى يوم واحد له في القاهرة، وسيذهب إلى وطنه ولن يتأثر بما حدث هنا، بينما هي التي سيلحقها أضرار ما حدث.

وشجعها أن تواجه وتدافع عن نفسها.

وأخيرًا نال روهان إعجاب فتحية:

ـأيوه كده اخشوشن .

شعر روهان بعدم الارتياح لتمتمة الممرضة الفضولية فأمرها بالخروج، ورافقها حتى باب الغرفة وهو يجري اتصالاً هاتفيًا هامسًا لمتلقي الاتصال، ثم أغلق الخط سريعًا، وعاد إلى فيروز التي كانت شاردة مجددًا في أفكارها، وهي تنظر لسقف الغرفة:

ـأنا أخشى النفوس، أخشى زيف الإعلام، أخشى عقول فضولية، جلست فقط رغبة لاختراق حياة شخص جديد وإخفاء ضعفها في إذلاله، وذنبها في إجرامه، وجهلها بالسخرية من علمه، ويأسها في تعجيزه، دون وجود رغبة حقيقيه في إنصافه. فدفاعه عن نفسه هو تبرير لجرمه، وصمته هو إثبات لفعلته.فهو مذنب في كل الأحوال.

ثم نظرت لروهان، المنتظر عودتها من عالم الشرود الساحر، وقالت:

هترجم كل الكلام ده إزاي؟

ثم شعرت بالوحشة في قلبها، وهي تشرد داخل شرودها، لتحلق إلى عالم العُشَّاق:

فينك يا باسل محتاجاك أوي،

بطمن معاك،

بارتاح معاك،

بتحس بيه وتفهمني،

والأهم دلوقتي بترجم كلامي.....

ابتسم روهان، وقال فيمن تفكرين؟

استنكرت سؤاله:

ـولِمَ من وليس فيم ؟

=أعلم جيدًا تلك النظرات فهي تفضح صاحبها.

ـأنت مخطئ.

=باسل

خطف قلبها الاسم، وذهلت أنه يعرف، فهي نفسها لا تعرف، أو لا تجرؤ أن تعترف.

احترمت ذكاؤه وأومأت مقرة.

=الحب أجمل شيء في العالم.

ـلا أريده.

أجاب واستفاض عن الحب وسحره، فأخذته الحماسة وتغزّل في الحب بالإنجليزية، ثم انتقل بانسيابية إلى الهندية فأطلق لخياله العنان.

لم تفهم فيروز بالتأكيد كما لم أفهم، لكنها شعرت كما شعُرت، شعرتْ بإحساسه المرهف وجمال ما يتحدث عنه، وأنار وجهها بريق عينيه وهو يردد تكرارًا ومرارًا pyaarبيار.

فقاطعته وهي تترك قلبها يتحدث بحرية:

بيار تعني الحب، أليس كذلك؟

ضحك في بهجة فقد فهمته من Yحساسه لا من لغته وهذا هو التواصل الحقيقي.

اعتذر هو هذه المرة عن التحدث بالهندية.

وقال كنصيحة حكيم أكبر منها سنًا وأكثر منها خبرة:

استمعي إلى قلبك. فدقاته صادقة، ملهمة.

دقاته حياة.

لا تعيشي دون أن تحيي.....

ابتسمت في راحة.

انتهز لحظة الصفا النادرة وقال لها:

إذن أنتِ على استعداد تام الآن لاستقبال الضيف.....

نظرت فيروز اتجاه الباب في ترقب.

هل يمكن أن يكون خلف هذا الباب قلب اشتاقت له، وروح تعلقت بها؟

هل ستجتمع ثلاث عقول متمردة على كل من حولها، من جديد؟.

عقول تأبى نظرية القطيع، تأبى اتباع الآباء والأجداد دون تفكر، تأبى أن تردد ما تسمع دون أن ترى بعينها وتتحرى الحقيقة.

عقول يرفض كل منها الآخر أيضاً. فعقل فيروز يتعجب كيف لبشر أن يعبد بقراً لا يعقِل! وعقل روهان يستنكر أن يُعبد إله واحد لا أكثر، وعقل باسل رافض أن يكون هناك إله يُعبد....أبدًا لايُعقل.....

تبدوا المسافات بينهم بعيدة والحصون منيعة، لكن قطرات التقبل بدأت في شق الحجر.

وطاقة الحب بدأت في تجديد الأمل.

فهل يمكن أن يجمع القلب ما فرقه العقل؟!

ثم طرق

أحدهم

الباب.

كانت طرقات قاسية من يد جرداء آلمت الباب فعلى صوته بالطرق.

ولم تنتظر حتى الإذن بالدخول، فاقتحمت فتحية الغرفة قائلة:

هي دي الكيّاس يا أستاذ، يوه يقطعني قصدي هي دي الباجس يا أستاذ؟ حاكم إنت يا حرام ما بتفهمش عربي.

اكتفى بأخذ الأكياس منها وتوجه بها إلى فيروز، وقال:

هذه بعض الملابس من أجلك.

ابتسمت فيروز، ولم تمهلها فتحية الفرصة لشكره، فعقبت بدلاً عنها:

إلهي يسترك، أحسن شكلها طلعت من بيتهم بالهدوم اللي عليها ملحقتش تلم باج هدومها حتى.

صاحت بها فيروز:

هو إنتِ متخيلة إن أي جمله تحطي فيها كلمة باج بقت إنجليزي، وهيفهمها كده. ممكن تخليكي في حالك وتيجي تساعديني.

مصمصت شفتاها، وهي تقول:هو أنا قلت حاجة. ولا إنتِ طلبتي حاجة وقلت لا.

تعالي حبيبتي نشوف جابلك إيه أوعاكش بس يكون جايبلك ساري هندي.

كادت فيروز تجن من لسانها السليط وحروفها الزائدة عن الحاجة.

ـإنت متأكد إن دي ممرضة!

قالتها فيروز لروهان فأجابتها فتحية:

بعون الله ملاك رحمه أبًا عن جد.

فنالت فيروز جزاء تحدثها بالعربية، فأعادت سؤالها بالإنجليزية. نظر روهان إلى فتحية متشككاً من أمرها، وأجاب:

لا أعلم، هكذا أخبروني في المشفى.

***

الفصل الأخير

القلم.....

أنا البطل، نعم أنا القلم.

أنا الجندي المجهول في كل روايه، أنا النجم خلف الكاميرات، أنا العقل المدبر، أنا المسطِّر تاريخ الأمم. أنا من يحفظ العهود ويخلد العلوم ويفهم لغة العقول ويترجم لغة العيون ويفضح ما في القلوب وينقذ الكتّاب من الجنون. أنا المؤرِّخ، أنا المفكِّر، أنا.....المؤلف. أنا المؤلف الحقيقي لأي قصة، كل الأحداث والشخصيات من نسج خطوطي، ونتاج أحباري. أستطيع تحويل العبارات إلى عبْرات وأملك خفة يد في اللعب بالكلمات.

ثم يأتي أديب لا يستطيع الإبداع بدوني وينسب الفضل لنفسه! لكني أصر أن أضع اسمي رغمًا عنه، فكل ما خطّه الأديب، يُذيّله

بكلمة (بقلم فلان). نعم بي أنا وليس من تلقاء نفسه.أنبوب حبري هو مداد كلماته، وأنبوب الأكسجين الباعث في كلماته الحياة.

على أي حال لا أحب الحديث عن نفسي كثيرًا، وعندي مهمة شاقة تحتاج إلى التركيز.

عليّ كتابة نهاية هذه الرِّواية. فكيف أجعلها تبدوا؟!

هل يُسلم روهان ويعود إلى بلده يروي لهم عن عظمة المسلمين وبلادهم. ويتوب باسل ويتزوج من فيروز ويعيشوا في سعادة وهناء.

يالها من نهاية سعيدة مملة، لا تمت بصلة إلى الواقع. فسيظل روهان على نفس أفكاره وسيعود بلاده منتجًا فيلمًا جديدًا لا علاقة له برواية فيروز ولا بقضيتها.

وباسل امممم ما مصيره؟ أعتقد أنه أحب فيروز بصدق، وهذا يجعلني في مأزق هل يعود إلى رشده ويعتنق الإسلام من جديد؟ لكن الواقع يؤكد أن لا تغير يحدث في أفكارنا بسهولة، وتظل معتقداتنا كما هي وربما تتغير كل عقد من الزمان فقط. إذن علينا انتظار باسل وهو في عمر الثلاثين حتى تنضج أفكاره أكثر وربما يقبل ما كان يرفضه مسبقًا.

ولماذا لا أجعل باسل يخدع فيروز من جديد، ويوهمها أنه تاب ليحظى بها كزوجة ويبقى ما في القلب في القلب.

ولماذا لا تتشكك فيروز في دينها وتقبل هي ما رفضته في باسل وتتزوج به، ويبحثا عن إجابة أسئلتهم المعقدة معًا وأمامهما العمر الطويل لكشف كل الأمور الغامضة.

ربما يمكنني الهرب من هذه النهايات بموت إحدى الأبطال الثلاثه أو موتهم جميعًا في حادث إرهابي، ونبعث رسالة سلام إلى العالم أن الإرهاب لا دين له.....

امممم احترت في أمر هذه الرِّواية من عليه أن يتنازل عن معتقداته، ومن عليه أن يعترف بأنه كان المخطئ.

ربما عليّ أنا الاعتراف بأني لن أستطيع العمل بمفردي ولا أستطيع فرض أحداث بعينها. عليّ فقط أن أراقب ما يحدث وأخطه على السطور كما هو.....

كانت طرقات الباب متوترة مترددة متلهفة، هذه المرة ربما لاختلاطها بصوت دقات قلب باسل، وهو يقف خلف الباب، يمتزج الخوف في قلبه بين خوفه من ردة فعل فيروز حين تراه، وبين خوفه عليها ولهفته للاطمئنان عليها، ورؤية ملامحها الهادئه ليهدأ قلبه قليلاً، بعد أن هاتفه روهان وأخبره بما حدث وطلب منه أن يأتي على الفور.

فتح الباب.

وعلى نفس مستوى سرعة دقات قلبه المضطربة، كانت سرعة قذفه لتلك الكلمات متتالية محاولاً إنهائها قبل بداية ثورة فيروز، آملاً أن يستطيع إخمادها قبل قيامها.

ـقبل ما تقولي ولا كلمة أنا جي أطمن عليكي بس. وروهان هو اللي طلبني عشان أرتبلكم حلقة في البرنامج بتاعي تسعه إلا ربع، توضحوا موقفكم وتخلص الحلقه وكل واحد يروح لحاله، ها قلتي إيه؟

وأغمض عينيه استعدادًا لتلقي الرد.

ومع ازدياد حاسة السمع في لحظات إغلاق العين، لم يسمع أي صوت.

فتح عينيه في بطء ليجد فيروز كانت تتأمل وجهه وتُبدل نظرة الحنين سريعًا، وترسم العبوس على وجهها وتقول:

ـواشمعنا تسعه إلا ربع؟

قال بأريحية أكثر:

ـده اسم البرنامج، عشان نشرة الأخبار زمان على القناة الأولى كانت الساعه ٩ بعد مسلسل ٨ فإحنا سميناه تسعة إلا ربع، كرمز لأننا هنجبلك الأخبار قبل نشرة الأخبار نفسها.

لم تستطع فيروز تمالك نفسها من الضحك لكن بعد صراع مع قلبها وعضلات وجهها، اكتفت بالابتسام وحوّلت ضحكتها المرحه إلى ابتسامة مجاملة.

ثم استدعت قسوة عقلها لتتذكر ما فعله باسل بها، فرضخ القلب لرغبة كل من فيروز وعقلها، واستدعى الكرامة لتأخذ مكانها فبدت ملامح فيروز قاسية متجمدة وبدأت ثورتها المؤجلة:

ـإنت متخيل إني أوافق أطلع معاك أصلاً، وكمان برنامج من برامج ال talkshow الصفيقة المحرضة.

ـإيه الأوصاف دي، وانتي اللي محتاجة البرنامج على فكرة،

دي فرصه توصلي رسالتك وتوضحي موقفك وإنت حره تقبليها أو ترفضيها.

قدامك ٥ دقايق هستنى بره وبعدها تقوليلي قرارك ومش هناقشك فيه.

خرج من الباب أكثر توترًا مما دخل خشية أن ترفض. لكن اطمئن فهي بخير مازال لسانها سليط وبركانها ثائر.

هل هكذا يبدو صوت عقارب الساعة في لحظات السكون.

فيروز صامتة على فراشها، وروهان جالس على كرسيه بجوارها، وباسل يقف على باب الغرفة كعسكري مكلف بحراسة غرفة متهم.

وأبت عقارب الساعة إلا أن تضيف موسيقى تصويرية للمشهد.

ـهو البرنامج بيبدأ تسعة إلا ربع ولا ده مجرد اسم؟

رنّ صوت فيروز كصوت منبه قطع روتين عقارب الساعة القاتل.

انتبه باسل لكلماتها وأسرع بالدخول مبتسمًا:

ـتسعه إلا ربع بالدقيقة.

استبشر روهان خيرًا من نبرة صوتهما وملامح وجه باسل المشرقة، فأشار إليه باسل مؤكدًا ما فهمه، ووافقت أخيرًا.

ـرجالة آخر زمن واقفين الاتنين على أعصابهم مستنين الهانم ترضى عنهم.

من المؤكد كانت هذه فتحية.

همّ باسل بالخروج إلا أنه سمع صوتا عذبًا يستوقفه. أيعقل هذا! هي من تستوقفه هذه المرة.

التفت إليها وابتسامته تنير وجهه، أخبرته ابتسامتها أن يقترب. اقترب من سريرها وجلس بجوارها.

ابتسم روهان أيضًا وأشار للممرضة أن تخرج معه، وهي الوجه العابس الوحيد المتمتم:

إزاي هنخرج ونسيبهم لوحدهم إزاي!

وهو يجبرها على الخروج ويقول:

تشالو تشالو

وهي تعترض:

اتشال إيه بس إلهي تتشل يا بعيد أستغفر الله العظيم يارب.

نجح روهان أخيرًا في إخراجها وخرج معها.

حاولت فيروز بدء الحديث، فأشار لها باسل ألا تقول شيئًا، وقال:

ـحمد لله على سلامتك. أنا كنت هتجنن لما عرفت، كنت هموت واطمن عليكي. ومش عايز حاجة غير إني أطمن عليكي. أنا مبسوط إني دخلت كلية إعلام واشتغلت مذيع عشان بس ده خلاني أطمن عليكي.

يخطفها مع كل كلمة يقولها، وينطرب قلبها من ألحان صوته وكلماته.

ابتسمت، ابتهجت، استمعت لقلبها وأنصتت، تحررت.....

فأكمل:

أنا آسف على كل اللي عملته، اليومين اللي قضيتهم من غيرك كانوا أصعب يومين في حياتي.

قاطعته:

باسل أنا عايزه أتكلم، عايزه أقول أنا حاسة بإيه.

=قولي أنا سامعك

_أنا فرحانه، أنا قلبي بيدق، أول مرة يدق، أول مرة يتنفس، أنا حاسة إني طايرة.

ثم ضحكت وعلا صوتها بالضحك.

وباسل ينظر إليها وهو في قمة سعادته من كلامها، ومندهشاً من ضحكها. وبدأ بالضحك معها رغمًا عنه وهو يسألها:

بتضحكي ليه طب فهميني

= أنا عبرت عن حاجة جوايا، من غير ما أفكر، من غير ما أحسبها.

وكادت تقفز من مكانها وهي تحاول الصراخ:

أنا قلت حاجة حاساها.

ـ بس بس براحة خلي بالك على نفسك.

أنا مبسوط أوي وأنا شايفك طايرة كده.

قالت:

عارف يا باسل قمة الحرية إنك تتخلص من قيود البشر وتتعلق باللي خالقهم. إنك تتحرر من طين الأرض وتسمو بالروح في السما.

نظر لها في ترقب، فأكملت:

ـ كلنا بندور على الحرية، وقمة الحرية إنك تكون عبد.

استنكر كلامها بنظراته، فتابعت:

أيوه عبد، عبودية متذلكش ولا تخليك تحت رحمة حد هو زيه زيك، ولا تكتفي بنفسك وانت متملكش أنفاسك. العبوديه لله بتشرف وتكرم مش بتذل.

رغم ما كانت تثيره هذه الكلمات من غضبه إلا أنه ابتسم، وقال:

أوعدك هفكر في كلامك.

لم ترد أكثر من ذلك، أن نحرر عقولنا من العند والإصرار على صحة معتقداتنا. ولا ثوابت في هذا العالم تستحق العناد. غمرتها السعادة بفتح باب أمل جديد أن يحرر باسل عقله، كما حرّرت قلبها. وكما تتمنى أن يحرر روهان فنّه ويعبر عن أفكار جديده تملأ الكون جمالاً ورقيًا.....

صمتا الاثنان لحظات،اقترب فيها باسل من يدها الممتده بجانبها حتى لامس أطراف أصابعها، ثم تراجع وهو يتأمل نظرة الثقة التي منحتها له فيروز، وحمّلته أمانة الحفاظ عليها، ولا يمكن أن يخون هذه الثقة مرة أخرى.

.....

على فكره السواق طفش واستقال ومعنديش استعداد أروح من غير العربية ومعانا روهان محرم أهو فبلاش حركات ندالة لوسمحتِ.

همس باسل بكلماته لفيروز وهي تستعد لركوب سيارته بمساعدة الممرضه الكيداويه.

ـابتسمت وهي تنظر أمامها، إثر إصابة عقلها بدوار مفاجأ، وارتفاع دقات قلبها، من كلماته ونبرة صوته واقترابه منها هذا الحد.

مر الوقت في السيارة، مملاً لفيروز، و to much information لروهان، ومتوترًا حماسيًّا لباسل، وهو يشرح أمور فنية كثيرة عن كيفية الجلوس أمام الكاميرا والإضاءة، والفرق بين الخروج على الهواء والحلقات المسجلة، وكيفية تركيب سمّاعة الأذن.

ولم يتجاوب أحد معه في الحديث، رغم تنقله بين العربية والإنجليزية لجذب انتباه الاثنان معًا. واستمرا على هذه الحاله حتى وقفوا أمام الباب الفاصل بينهم وبين البث المباشر على الهواء.

هنا توقف باسل عن الكلام، ودخل ليتمم على التجهيزات قبل الحلقة.

أغلق الباب خلفه، لكنه فتح المجال للمواجهه بين فيروز وروهان.

ومنحهم فرصه ليفتح كل منهما قلبه للآخر.

لأول مره تنظر فيروز في عينيه وتطيل النظر، بادلها النظرات، حتى بدأ اللسان في القيام بدوره الراقي الذي يتجاهله كثيرًا، دوره في التعارف بين الشعوب والتآلف بين القلوب والتواصل الفعّال مع البشر، دوره في ترك الأثر، وتقريب وجهات النظر .....

ـخلاص مسافر بكرة.

=أيوه.

ـأنا .... أنا اتشرفت بمعرفتك جدًا واتعلمت كتير منك. صحيح أزعجتك وتعبتك و ....

=بالعكس إنت كمان غيرتي تفكيري في حاجات كتير. ولو إنتِ واحدة من المسلمين يبقى أكيد الإسلام جميل.

ـروهان شكرًا على كل حاجة.

=أنا اللي أشكرك إني مسافر ومعايا رواية عظيمة لإنسانة أعظم.

ـهتقرأها؟

=هعيشها، هعشقها، هذاكرها وهحولها حقيقة.

ـيعني .....قصدك

=هتبقى فيلم عالمي زي ما صحبتها حلمت.

قالت بدموعها:

ـالله على الفرحة، الله على جبر الخواطر.

هتسمي الفيلم إيه؟

فقال مبتسمًا:

=فيروز.

ـلا لا نفسي في معنى يكون فيه تحية احترام لكل الشعوب، لكل العقول.

=يبقى ناماسكار، التحيه بالهندي

ـحلو أوي، يبقى ناماسكار .....

تفتكر هنتقابل تاني؟

= هنتقابل، هنمسح الحدود، هنحرر العقول. هنتقابل، هنتعارف، هنتآلف.

ـأكيد هنتقابل في يوم من الأيام، لما نسلم لله ونسلم بالاختلاف.

ومدت فيروز يدها للسلام وقالت:

ـولما نسلم على بعض بتحية الإسلام، حتى لو مش مسلمين، السلام عليكم.

فرد باسل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.هو في إيه؟!.

التفتت له فيروز:

ـإنت اللي في إيه بتدخل فجأة كده.

=لا على فكرة انتو اللي بره أصلاً، ومعلش لو هتقل عليكم في معاد هوا وكده.

نظرت فيروز لروهان، ونظر إليها مبتسمًا.

فهم كل منهما الآخر، وشعرا أن لا أحد سيشعر بما يشعران به الآن، فأدار ظهرهما لباسل وهمّا بمغادرة المكان.

وقف باسل في ذهول، ونادى على الاثنين في هستريا:

فيروز روهان الهوا البرنامج رايحين فين يا مجانين؟!!

ولمّا يئس من استجابتهم ركض خلفهم وتعداهما بخطوات ووقف أمامهما وقال:

ـفهموني في إيه؟

مش هتطلعي تبرئي نفسك، مش هتوصلي رسالتك؟

أجابته فيروز في ثقة:

=مش هطلع يا باسل قدام ناس بتقزقز لب ومستنية تهري في أي موضوع. محدش هيفهمنا.

ثم قالت ضاحكة:

أنا هروح لناس بتاكل فشار.

ـفشار !

ولمعت عيناها وهي تقول:

=السينما يا باسل، أكبر مؤثر على البشر، يعني أوصل رسالتي صح بأدوات العصر.

ـاده روهان هيعمل الرواية، مبروووووك.

طب وأهلك؟ أنا مستعد أروح أكتب عليكي على فكره وأنقذك من الموقف ده.

همّت بضربه وهي تضحك وتقول:

= أهلي أكيد في طريقة أتواصل معاهم بيها، أفهمهم ويفهموني، أنا اللي كنت مش بحاول.

ـعظيم الكلام ده. يعني مفيش برنامج.

بروجرام ناهي، روهان.

ضحك روهان، وضحكوا جميعًا. وركبوا سيارة باسل قبل أن يلحظ أحد اختفائهم وخرجوا خارج أسوار مدينة الإنتاج الإعلامي، ليشعروا بنسمات الحرية تتطاير حولهم في فرح. لم يسأل باسل عن وجهتهم، ولم تسأل فيروز عن ترجمة، ولم يتذمر روهان من حديثهما المطوّل باللغة العربية.تعدّو صغائر الأمور بكتيييير.....

تبقى يوم لروهان على أرض المحروسة قبل يوم سفره، ومن المؤكد أن هذا اليوم لن يُنسى سأخلد ذكراه، وسأسطر على صفحات التاريخ أنه في مثل هذا اليوم: استطاع ثلاثة أشخاص من أهل كوكب الأرض الكِرام، التمتع بسلام داخلي حيث تقبَّل بعضهم البعض رغم اختلافهم.، ومن العجيب أنه لم يسعى أحدهم لتغيير الآخر.....

.....

***

ملحوظه: لا أحد يعلم بأي لغة كان الحوار الأخير بين روهان وفيروز، لكن من المؤكد أنهم استطاعوا التواصل بلغة ما لا مجال فيها لترجمة حرفية مخلة بالمعنى الذي أراده الكاتب، ولا لإخفاء المعنى في بطن الشاعر.

تمت

بقلم إيمان عبد البديع

***

الكنزي
ALKANZY